

أ.د. علي أسعد وطفة
جامعة الكويت

التراث التربوي للحضارة العربية الإسلامية في العصر
الوسيط:
التربية الإسلامية منذ عصر النبوة حتى نهاية العصر
العباسي

في الوقت الذي كانت فيه أوروبا في العصر الوسيط غارقة في الظلام كان الشرق العربي الإسلامي يومض بالنور ويتدفق بالحضارة. فالإسلام دين الحق والحقيقية هبة الله للبشرية، وقد أكرم الله بلاد العرب بنور النبوة ورحمة الإسلام وحمل النبي الأعظم رسالة كونية إلى البشرية جمعاء قوامها التوحيد والعدل والإخاء والإنسان.

جاء الإسلام نور هداية للعرب والمسلمين، وكان العرب قبل الإسلام يعيشون في جحيم جاهلية لا ترحم. في جاهلية تغتذي على سفك الدماء ووأد الأطفال، جاهلية رفعت من الأصنام آلهة، ومن عبودية المرأة دستورا، ومن الجهل فلسفة، جاهلية مزقت الأرحام وهتكت الأعراض وقتلت الأنفس. ثم جاء الإسلام بنور النبوة ليحقق للعرب المشتتين المهزومين المدمرين ما يفوق أحلامهم ويتجاوز حدود طموحاتهم في حياة إنسانية أفضل وأرحب. جاء الإسلام فوحد العرب الجاهليين تحت راية المحبة والحرية ومبدأ السلام وقيم الإخاء وبفضله أصبح العرب أمة قوية تحمل مشعل الحضارة والإيمان في أنحاء الدنيا. فنهضت الحضارة العربية الإسلامية شامخة قوية وانتشر المسلمون في الأرض يرفعون راية المحبة والهداية الإسلامية. انتشر المسلمون في الأرض يحاربون الجهل والرذيلة ويسحقون الخرافات والأساطير بالدعوة الإسلامية لله الواحد القهار العلي العظيم.

ولم يكن الإسلام مجرد عقيدة إيمانية بل كان دعوة إنسانية تتسم بطابع الشمول والعمق. فالإسلام كان رسالة أخلاقية ودعوة اجتماعية وحركة سياسية هدفت إلى تحرير الإنسان والانتقال بدنياه من دنيا التعصب والعصبية إلى دنيا المحبة والسلام ومن خواء الروح إلى الإيمان بالله وملائكته ورسله وأنبيائه واليوم الآخر وقضاء الله وقدره¹.

فالإسلام يشكل منطلق نظرة شاملة إلى الكون والحياة الإنسانية بمختلف جوانبها وتجلياتها الروحية والعقائدية. وتتجلى هذه الرؤية الشمولية في صورة فلسفة قدسية تميزت بطابع الشمول والعمق الإنساني. لقد تبلور في البيان القرآني قولاً فصلاً بأن النبي "محمد هو رسول الله إلى البشر

1- انظر: التربية قبل المدرسية، علي وطفة و خالد الرميضي، مكتبة الطالب، الكويت، 2004، صص11-125.

أجمعين " وارتسم في البيان الإلهي قوله تعالى: "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً"⁽¹⁾. ويتألق شمول هذه الفلسفة الإنسانية بأسمى أبعادها في قوله الكريم: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ⁽²⁾. لم يكن الإسلام مجرد عقيدة سماوية روحية خلاقة فحسب، بل كان وما زال يشكل وسيشكل أبداً منهجاً فكرياً خلاقاً يشتمل بذاته على منظومة من الأنساق التربوية والفكرية والاجتماعية للوجود الإنساني برمته. إنه منهج عمل ومنطلق حياة ورسالة إنسانية تتميز بأسمى عطاءات الخلق والإبداع. وفي نسق هذه العطاءات الربانية الخالدة تأخذ تربية الإنسان مركزاً حيويًا في نسق العقيدية التربوية الإسلامية. ولا يمكن أبداً الفصل بين الجوانب التربوية والجوانب العقائدية في الإسلام لأن الفكر التربوي ينبثق من صلب العقيدة ويبلورها حقيقة إنسانية مسكونة بأسمى التوجهات الروحية الخالقة. كان النبي محمد عليه صلوات الله وسلامه نبياً ومبشراً ومعلماً ونذيراً وسيبقى أبداً الدنيا مربياً للإنسانية وهادياً لها. إنه قدر الإنسانية والخير فيها إذ جاء ليعلم البشرية بفيض أنواره وتجليات أسرارها منهج الحياة والتفكير والعمل، إنه قدوة الإنسانية وأسوتها وفي هذا يقول رب العرش العظيم: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"⁽³⁾.

تستمد التربية الإسلامية منهجها وغايتها وطرائقها وأهدافها ونسغ مبادئها من مصادر إسلامية أربعة رئيسية: القرآن الكريم بوصفه منهج الإسلام ودستوره ونسغ حركته الروحية، ثم السنة النبوية الشريفة، وسيرة النبي وخلفائه الراشدين، وأخيراً المفكرون العلماء من المربين المسلمين. ولا يمكن الحديث عن تربية إسلامية ما لم يستند الباحث إلى هذه المصادر الأساسية الأربعة. ولا يمكن لنا أن نجد نظرية تربوية واضحة المعالم في نسق هذه المصادر بل يتوجب على المفكرين استنباط الدلالات والإشارات التربوية في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة. فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يضع نظرية تربوية يمنهج فيها الروح الإسلامية للتربية، بل كان في سلوكه وتعاليمه وأحاديثه النبوية يعلن منهجاً تربوياً يتسم بالوضوح والدقة والرفاهة، وما على الباحث غير العمل على تصنيف هذه الإشارات وتنظيم الدلالات واستخراج الكنوز الفكرية والعملية للتربية الإسلامية السمحاء.

من الجاهلية إلى الإسلام

كانت التربية " هي السبيل الذي سلكه محمد عليه الصلاة والسلام (571-632م) لإحداث أعرق تغيير روحي وأخلاقي عرفه التاريخ في نفس الإنسان "⁽⁴⁾. واستطاع النبي (ص) أن يدك معاقل الشرك في الجاهلية والوثنية في مكة وأن يقيم للإسلام دولة في الجزيرة وبعدها ليؤسس أتباعه أكبر إمبراطورية إسلامية في التاريخ⁽⁵⁾.

لقد أحدث الإسلام ثورة شاملة في المعايير والقيم التي كانت سائدة في الجاهلية، واستطاع أن يحدث طفرات تربوية هائلة في تكوين الإنسان وفي تركيبته العقلية التي كانت تهيم عليه. لقد تغير منظور الإنسان إلى الكون والحياة كما تغيرت نظرته إلى نفسه وإلى طبيعة الوجود. لقد أنهض

1- القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 158.

2- القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 107.

3- القرآن الكريم، الأحزاب، 21.

4- دراسة مقارنة لتاريخ التربية، عبد الغني عبود، دار الفكر العربي القاهرة، 1978، (ص) 198.

5- دراسة مقارنة لتاريخ التربية، عبد الغني عبود، مرجع سابق، (ص) 198.

الإسلام في الإنسان عشق الحقيقة وحب التضحية وسما به إلى آفاق أخلاقية يندر مثلها في تاريخ الزمان. ويمكن أن نورد مثلاً لهذا التحول الإنساني الشامل في الشاعرة العربية الخنساء التي بكت أخاها "صخرا" في الجاهلية دهرا من الزمن تندبه وتذرف الدمع، سجلت عبر حزنها هذا أروع وأجمل ما في أدب الرثاء من قصائد خالدة. فلما جاء الإسلام وشرفها أنها دخلت فيه وآمنت بنبيه وبرسالته، حدث لها من تغير في أحوالها بتغير انتقالها من الجاهلية إلى الإسلام ما يصعب على التصديق وما يتجاوز حدود الخيال والوهم. فها هي في موقعة القادسية تنادي أولادها الأربعة، وتدعوهم للتضحية في سبيل العقيدة الإسلامية، وكان أولادها في مقتبل العمر وعزة الشباب وعظمة الخلق ورهافة الحس، شباب وفتيان صقلهم الإيمان بالإسلام وهذبتهم الشريعة وأغدق الله عليهم عطفه الشامل وحبه الكامل بالشهادة، ها هي تناديهم وتقول لهم بلغة إسلامية وبيان استلهم معين وجوده من أدب القرآن: يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو أنكم بنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجنت حبكم، ولا غيرت نسبكم، وأعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية فاصبروا وصابروا، واتقوا الله لعلمكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شممت عن ساقها، وجللت نارا على أرواقها فتمموا وطيسها، وجلدوا رسيسها تتقربوا إلى الله وتظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة. فلما أضاء لهم الصبح، باكروا إلى مراكزهم فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية أمهم لهم حتى قتلوا عن آخرهم فلما علمت بمصرعهم جميعا قالت: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته". تلك هي تربية الإسلام وذلكم هو النهج التربوي العظيم الذي يجعل المؤمنين يتسابقون إلى خطف الموت ويتهاجزون فرحين للقاء السيوف واستقبال الرماح ويتساقطون شهداء في سبيل الآخرة وابتسامات العزة والكرامة الإسلامية ترتسم على شفاههم. هذا هو التحول العظيم في تربية القرآن والإسلام. وهذه الأم الشاعرة النبيلة العظيمة التي هدرت بحرا من الدموع على شقيقها صخر في الجاهلية تنهي مصرع ثلاثة من أنجالها وأبطالها وقلذات كبدها بكلمات رائعة مجبولة بالإيمان الإسلامي تجاوزت فيها كل آلام البشر بقولها " الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته". وأين قولها هذا في استشهاد أبنائها الأربعة في الإسلام من قولها في مصرع أخيها صخر في الجاهلية حيث تقول في رثائه:

قذى بعينك أم بالعين عوار	أم ذرّفت إذ خلت من أهلها الدار
كأن عيني لذكراه إذا خطرت	فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت	ودونه من جديد التّرب أستار
تبكي خناس فما تنفك ما عمرت	لها عليه رنين وهي مفترار
تبكي خناس على صخر، وحق لها	إذ رابها الدهر، إن الدهر ضرار
لا بد من مينة في صرفها عبر	والدهر في صرفه حولٌ وأطوار ⁽¹⁾

نعم تلك هي الخنساء التي فقدت صوابها ووعيتها في الجاهلية فتفجرت تمردا على الدهر والقدر في بلواها على صخر، ولكن قلبها في الإسلام سكن حبا بالله وإيماننا بقضائه وقدره وشوقا إلى ملاقاته في دار الآخرة. نعم تلك هي التحولات العظيمة التي أحدثها الإسلام في النفوس وفي القيم والعادات والتقاليد. ونحن نقول في وصف هذه الحالة أن الله أدب النبي فأحسن تأديبه وها هي الخنساء قد أدبها

1- الخنساء شاعرة الرثاء، يحي شامي، دار الفكر العربي، بيروت، 1999، 16.

النبي الكريم فأحسن تأديبها وانتقل بها إلى مصاف العظماء في الدنيا والآخرة. وفي شاهد الخنساء فيض من غيظ من الأمثلة الخيرة والمعطاءة التي تغير فيها البشر فصقلت قلوبهم وعقولهم بأسمى ما في هذا الكون من قيم وعبر رفعت الإنسان من بهائم الجاهلية إلى نور الإسلام.

فالتربية كانت المنهج الذي اعتمده النبي عليه الصلاة والسلام (571-632م) لإحداث أعماق تغيير أيديولوجي عرفه التاريخ في نفس الإنسان، " وهو المنهج الذي استطاع به أن يجند رجالا يقضون على معاقل الشرك والوثنية في مكة ويقوم للإسلام دولة في الجزيرة العربية، ثم يقيم أتباعه من بعده إمبراطورية كبرى تحل محل أكبر إمبراطوريتين في ذلك التاريخ وهما إمبراطوريتا الفرس والروم وكل ذلك في أقل من ثلث قرن في عمر الزمان"⁽¹⁾. وغني عن البيان أن التربية التي أحدثها نبي الله لم تكن تربية مدرسية بالمفهوم الضيق للكلمة، وإنما كانت تربية شاملة: مدرسية وغير مدرسية: في المسجد والشارع، في المنزل والمدرسة، في ميدان القتال، في الصلاة والصوم والزكاة والحج، وفي كل لحظة من لحظات النهار والليل"⁽²⁾.

ويمكن الإشارة إلى هذا التحول التربوي والعقائدي العظيم في التكوين الروحي والإنساني والعقائدي للمسلمين عبر المقارنة بين وضع أهل مكة قبل الإسلام وبعده، ولنا في قصة هذا الجيش البسيط الذي قدم به أبرهة من الحبشة إلى مكة لهدم بيت الله الحرام، إذ يروي التاريخ الهلع الذي أصيب به أهالي مكة فخرجوا منها من فرط خوفهم واهلهم فلجأوا مذعورين إلى سفوح الجبال، ينتظرون حكم القضاء في أرضهم ومقدسم، ولم يظهر أية مقاومة بل كانت تعمهم روح الاستسلام والهزيمة بمطلق أحوالها. ولكن النبي بنهجه القرآني وتربيته الإسلامية استطاع أن يغير منهج حياتهم وأن يحدث ثورة إسلامية في نفوسهم، وهاهم هؤلاء الضعفاء قبل مجيء الإسلام، يظهرون شجاعة وجسارة ينذر مثيلها في تاريخ الأمم والشعوب بتحديهم وصمودهم هذه المرة لأعتى وأشد قوى الدنيا في زمنهم بطشا وفتكا، لقد وقفوا في وجه الفرس والروم في الآن الواحد، واستطاعوا أن يخوضوا أعظم الحروب، ويفتحوا هذه البلدان العظيمة التي تساقطت أمام بطولاتهم وتضحياتهم وتقانيهم في خدمة الإسلام والظفر بأعدائه. تلك هي المدرسة المحمدية وذلك هو النصر العظيم الذي انتقل بالناس من حالة الضعف الشامل والهزيمة الروحية والانحمار الأخلاقي إلى حالة الانتصار والإحساس العظيم بنشوة النصر الإسلامي في مختلف جوانب الحياة والوجود. هذه هي الرسالة وتلك هي المدرسة التي غيرت وجه التاريخ وحركة الكون في عالم الإنسان.

التربية الإيمانية

يشكل الإيمان بالعقيدة الروحية للإسلام مبتدأ الوجود وخبره. فالإيمان بالله وكتبه ورسله يشكل غاية كل غاية، ونهاية كل طموح تربوي في الإسلام. فالعقيدة الإسلامية بجوانبها الإيمانية هي الأساس المكين لكل فضائل الوجود قاطبة. ومن غير الإيمان بالله تعالى وبرسالة نبيه الكريم يفقد كل شيء آخر معناه ومشروعية وجوده في الحياة الإسلامية. فالإيمان بالله تعالى جلّ جلاله وعزّ كماله هو فضيلة الفضائل وغاية الغايات، ومن غير الإيمان بالله وكتبه وأنبياؤه والقضاء والقدر لا يمكن الحديث عن فضائل تربوية وأخلاقية وعقلية لأن جميع هذه العناصر تستمد نسغ وجودها من الجوانب الإيمانية في الإنسان المسلم.

1- دراسة مقارنة لتاريخ التربية، عبد الغني عبود، مرجع سابق، (ص) 198.

2- دراسة مقارنة لتاريخ التربية، عبد الغني عبود، مرجع سابق، (ص) 198.

ومن هذا المنطلق وعلى هذا الأساس يولي الإسلام الجانب الديني العقائدي والروحي أهمية تفوق كل الحدود وتتجاوز أبعاد التصورات. فالتربية تهدف في نهاية الأمر إلى تحقيق الغاية من الخلق وهو الإيمان بالله تعالى وتوحيده. وتأسيساً على ذلك يرسم الإسلام منهجاً تربوياً أصيلاً ومباركاً لترسيخ أسس العقيدة الإيمانية في نفوس الأطفال ومنذ المراحل المبكرة لولادتهم.

فالطفل مجبول بفطرته على الإيمان بالله تعالى ومحبة نبيه الكريم، ويمكن الاستفادة من تساؤلاته عن نشوء الكون وعن نشوئه ونشوء أبويه ونشوء من يحيط به، لتعريفه بالله تعالى الخالق في الحدود التي يتقبلها تفكيره المحدود، والإيمان بالله تعالى من أهم القيم التي يجب غرسها في الطفل لتأصيل الوازع الديني بمناحيه الإسلامية الأصيلة.

والتربية والتعليم في هذه المرحلة يفضل أن تكون بالتدرج ضمن منهج متسلسل متناسب مع العمر العقلي للطفل. ففي الخامسة من عمر الطفل يعلم الطفل الصلاة والسجود، وعندما يبلغ التاسعة من العمر يعلم الوضوء ويؤمر بالصلاة ويضرب عليها.

ويعتمد الإسلام في تعليم الطفل العبادة والسجود على مبدأ القدوة الحسنة لأن الطفل يعتمد في مرحلة الطفولة على مبدأ التقليد والمحاكاة لوالديه بالدرجة الأولى، وهذا يعني أن سلوك الوالدين يشكل الأساس الذي ينطبق من الأبناء في الإيمان بالله وممارسة العبادة والأساس الذي يعتمده الطفل في الإيمان وحبه للخالق العظيم هو نفس الأساس الذي يحب به الوالدان الله ويعبدانه. فالطفل ما بين الثالثة والسادسة من العمر يحاول تقليد الأبوين في كل شيء فإذا حدثنا عن الله فإنه يؤمن بالصورة التي يغرسها الأبوان في مخيلته عن الله كما تقدم.

وتعد محبة النبي وتعظيمه إحدى ركائز الإيمان في الإسلام. ومن هنا يشدد الإسلام على أهمية تربية الأطفال على حب نبيهم، حيث لا يكون إيمان من غير محبة صاحب الرسالة وحبيب الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وفي هذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن».

و تؤكد المدرسة النبوية على أهمية تعليم القرآن وتلاوته في الصغر لأن ذلك يؤصل مشاعر الإيمان بالله عند الطفل، ويرسخ كل القيم والمعاني الإسلامية التي يتضمنها المنهج القرآني، والتي تجعل الطفل في المستقبل من أصحاب الإيمان ومن دعاة الهداية والتقوى. وينصح بتعليم الطفل في البداية الآيات والسور البسيطة التي يمكنه فهمها وإدراك معانيها، والطفل في مرحلة الطفولة أكثر قدرة على استظهار الآيات القرآنية وحفظها.

فالإيمان بالله وتوحيده يشكل أعظم قوة وجدانية عند الإنسان، ولهذا الإيمان قدرة كبيرة على توليد سائر الفضائل الخلقية والمثل العليا عند الأطفال، ويمكن للإيمان بالله أن يستلهم القوى الخلاقة في الإنسان ويدفعها من حالة وجودها بالقوة إلى حالة وجودها بالفعل. ويمكن القول أيضاً أن الإيمان بالله يؤدي إلى إحياء فطرة الإنسان الخيرة وأن جميع الفضائل الإنسانية تستيقظ وتنمو في ظل الإيمان بالله ورسله وكتبه والقضاء والقدر خيره وشره. ومهما بلغت قيمة الوجدان الأخلاقي، ومهما كان أمره في تحقيق سعادة الإنسان، فإن هذا الوجدان قد ينتكس إذا لم يكن مستنداً إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

ومن هذا المنطلق وعلى أساس ما تقدم يمكن القول بأن التربية الإسلامية للطفل تنطلق من التوجهات التالية:

- 1- وجوب تربية الطفل منذ الصغر على مبدأ الإيمان بالله تعالى ورسله وكتبه وملائكته وقضائه وقدره. وأن يتم تلقين الطفل هذا الإيمان بأسلوب تربوي فعال يتميز بالبساطة والمرونة ويعتمد على مبدأ القدوة الحسنة
- 2- الطفل يحتاج وبصورة مستمرة إلى قراءة القرآن والتفقه فيه ما أمكنه إلى ذلك سبيلا لأن منهج الإسلام يستقر في آيات الله وفي كتابه العظيم.
- 3- تأصيل محبة النبي عليه الصلاة والسلام في نفوس الأطفال وفي قلوبهم وهذا شرط مطلق في إيمان المسلمين كافة.
- 4- تعريف الطفل بالسيرة النبوية والسنة المحمدية بما تنطوي عليه من أحاديث ومواقف وحكم أخلاقية وتعاليم روحية.
- 5- تعليم الطفل وبصورة مستمرة أداء الفروض الدينية من صلاة وصوم وزكاة وعبادة وحج، لأنها السبيل إلى مرضاة الله وتأصيل الروح الإسلامية في الإنسان المسلم المؤمن.
- 6- معرفة الطفل منذ نعومة أظفاره أن رحمة الله لا تنقطع أبدا وأن غفرانه قريب دائما وأن أبواب التوبة إلى الله مشرعة دائما وأبدا. وهذا يبعد الطفل عن الإحساس باليأس والقنوط أمام حوادث الزمان.
- 7- إيقاظ إحساس الطفل بالمسؤولية أمام الله وحثه على الشعور بواجبه، وتعليمه بأن الله يراقب ويرى ما يقوم به العبد، وأنه تعالى لا يخفى عنه شيء وأنه يجازي ويعاقب ويحاسب.

التربية العاطفية والانفعالية

جاء محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وجاء للطفولة دفق محبة ورحمة سماوية أغدقها الله على الأطفال المسلمين. ولم يشهد تاريخ الإنسانية أبدا مربيا كان أكثر حنانا وحباً للأطفال كما كان هو النبي العربي الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم قدوة للإنسانية في تربية الأطفال إذ كان يغدق حبه بلا حدود ويحيط الأطفال بعناية ينقطع نظيرها. وشواهد السيرة النبوية لا يمكن أن تحصى في الإشارة إلى سمو في تربية الأطفال عند معلم الإنسانية والبشر. وما أكثر الإشارات في هذه السيرة على تواضع النبي وحبه للأطفال واحترامه لهم. وها هو يختصر قراءة القرآن في الصلاة، ولا يطيل إذا سمع بكاء طفل، مع أن الصلاة حبيبة قلبه ومهج فؤاده.

كان النبي رؤوفاً بالأطفال رحيماً بهم، يداعبهم ويذاغهم ويسهر على راحتهم ويعلي من شأنهم. ويروى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى في تقبيل الأطفال ومداعبتهم واحترامهم منهجا تربويا أصيلا. وقد جاء في الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قبل الحسن بن علي رضي الله عنه وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع: " أن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال: "من لا يرحم لا يرحم". وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء إعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تقبلون الصبيان فما نقبلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة"⁽⁴⁾. وتقبيل الطفل من أفضل الوسائل التربوية في تشكيل الطفل عاطفيا وإنسانيا وفي هذا الأمر يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « أكثر وا

1- متن البخاري، (ص) 51.

من قبلة أولادكم، فإن لكم بكل قبلة درجة في الجنة» ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: «من قبّل ولده كان له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة».

وليس هناك أجمل من الهدفة ولمسات الحب والحنان التي كان صلى الله عليه وسلم يكرم بها الأطفال ويغدها على أحفاده وأبناء صحابته الأكرمين. فقد ثبت في الصحيحين، عن أبي قتادة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو يحمل أمامة بنت زينب بنت رسول الله، وهي لأبي العاص بن الربيع فإذا قام حملها وإذا سجد وضعها⁽¹⁾. وفي هذا الحنان تتألق عظمة النبي ويتجلى حبه للطفولة. وكثيرا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يضم الحسن والحسين وهما صغيران إلى صدره يقبلهما ويضعهما في حجره الشريف.

وفي عمر الشواهد التاريخية على حب النبي للأطفال ومداعبته لهم، يشار إلى رواية عبد الله بن شداد، وفيها أنه بينما كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته، قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر، فقال: إن ابني قد ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجاته⁽²⁾.

وما أكثرها من شواهد وإشارات على عظمة هذا الحب ونقاء هذا العطف وصفاء هذه الروح النبوية. فالنبي الأكرم صانع أمجاد الأمة وملهم حضارتها كان يداعب الأطفال الصغار ويلاعبهم. ويروي الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يمشي على أربعة (أي على يديه ورجليه) وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول: "نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما"⁽³⁾.

وقد وصل النبي في تكريمه للأطفال أنه كان يبادثهم السلام على ما هو عليه من عظم الشخصية ونبل الرسالة السماوية، وبذلك كان يحترم شخصيتهم ويكرمهم. وهكذا يجب على المسلمين أن يبدؤوا الأطفال بالسلام لأن منهج النبي عليه الصلاة والسلام يؤكد هذا التوجه وهو توجه تربوي أصيل يهدف إلى بناء الشخصية الإسلامية وهذا البناء هو شرط انتشار الإسلام وتفتق قيمه الحضارية في مستقبل الأيام.

ولم يقف النبي عند حدود ممارسته لخاصة في حب الأطفال والعناية بهم بل كان يوجه الدعوة إلى إسعاد الأطفال وإحياء الفرحة في قلوبهم وفي هذا يقول "من فرّح ابنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أقر عين ابن فكأنما بكى من خشية الله"⁽⁴⁾. ويروي يعلي العامري أنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعام دُعي إليه، فإذا هو بالحسين رضي الله عنه يلعب مع الصبيان، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم أمام القوم، ثم بسط يديه، فطفر الصبي ها هنا مرة وها هنا مرة، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفاه، ووضع فاه على فيه وقبّله⁽⁵⁾. وإذا كان مرشد الإنسانية النبي الكريم صلى الله

1- قطوف من أدب النبوة، أحمد حسن الباقوري، ج1، مؤسسة الأخبار، نوفمبر 1988، (ص) 170.

2- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ج2، مطبعة عثمان خليفة، القاهرة، 1933، (ص) 1038.

3- تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ط6، ج2، 1983، (ص) 937.

4- مكارم الأخلاق للطبري، (ص) 114.

5- مستدرک الوسائل للمحدث النوري، ج2، (ص) 626.

عليه وسلم يعامل الأطفال بهذه المعاملة أمام الناس فإنه كان يريد أن يرشد الناس إلى ضرورة إدخال السرور على قلوب الأطفال وأهمية اللعب معهم في سبيل تربيتهم تربية أصيلة خلاقية ومبدعة. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في تأكيد محبة الأطفال "أحبوا الصبيان وارحموهم"، وكان يقول ويكرر داعياً إلى الرحمة وإلى المحبة: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا"، وهو في هذا الاتجاه كان يكيل المديح لنساء قريش لما يتميزن به من حنان وحب تجاه أطفالهن. وكان عليه الصلاة والسلام يقول "من كان عنده صبي فليتصاب له". أي يلاعبه ثم كان يردف صلى الله عليه وسلم: "رحم الله عبداً أعان ولده على بره، بالإحسان إليه، والتألف له، وتعليمه وتأديبه".

في استعراضنا لمنظومة من الإشارات النبوية في تربية الأطفال والعناية بهم نستطيع أن نقول بأن هذه الإشارات والإفادات التربوية تؤكد أن النبي عليه الصلاة والسلام قد وضع أسساً عملية واضحة ونظرية تربوية متكاملة في التوجه نحو تربية الأطفال سيكولوجياً. لقد تبين لنا أن النبي عليه الصلاة والسلام يؤكد المبادئ التالية في علاقة الراشدين بالأطفال:

- 1- احترام الطفولة والأطفال فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يبادئ الأطفال التحية والسلام.
 - 2- اللعب مع الأطفال ويشهد على أن النبي كان يداعب ويلعب أحفاده وأولاده وهو يقرّ مبدأ تربويًا تؤكد التربية الحديثة حول أهمية اللعب عن الأطفال.
 - 3- حب الطفولة والأطفال وإغداق كل العطف والحنان على الأطفال. ويكون النبي صلى الله عليه وسلم أسبق من أرسى هذا المبدأ الذي ينظر إليه على أنه مبدأ تربوي حديث.
- وبكلمات قليلة، كان النبي صلى الله عليه وسلم يجعل من حب الأطفال والعناية بهم وملاعبتهم واحترامهم نهجاً تربوياً إسلامياً واضح الغايات والأهداف. والمسلمون مطالبون بتطبيق هذا النهج لأنه نهج المعلم الأعظم وهو نهج سماوي يأخذ طابعاً إنسانياً في عهد النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم.

التربية العقلية

يؤثر الإسلام العقل ويرفع من شأن العقلاء. ولا يرد ذكر العقل في القرآن الكريم إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به، والرجوع إليه. والمؤمن مطالب في كل موقف من مواقف حياته أن يحكم العقل وأن يلجأ إليه⁽¹⁾.

إن أولى الآيات نزلت على الرسول الأكرم معلنة بدء الوحي والرسالة قوله تعالى "اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم"⁽²⁾. وللعلم شأن كبير ومكانة عالية في الإسلام ومن قرأ القرآن الكريم والحديث الشريف عرف منزلة العلم في الإسلام، وعلو شأنه وحضه عليه، ومن ذلك: قول الله تعالى: "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم"⁽³⁾.

1- دراسة مقارنة لتاريخ التربية، عبد الغني عبود، مرجع سابق، (ص) 191.

2- القرآن الكريم، سورة العلق، 1.

3- القرآن الكريم، آل عمران، 18.

وفي تعظيم العلم يقول رب العرش العظيم: "وقل رب زدني علماً"⁽¹⁾. وهنا يربط القرآن الكريم بين العلم والعبادة ويرى بأن العلماء والعقلاء هم أصحاب النعيم لأنهم يستطيعون ببصيرة العقل إدراك الله وتعظيمه وتوحيده وقد جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى "إنما يخشى الله من عباده العلماء"⁽²⁾. والإسلام يفضل العلماء على غيرهم ويقدمهم في الدنيا والدين يقول تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب"⁽³⁾. ويحض القرآن الكريم على تفضيل العلماء وتكريمهم ويأمر بأن تفسح لهم صدارة المجالس بقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير"⁽⁴⁾. وفي السيرة النبوية فيض من الإشارات والتنبيهات النبوية التي تحض على أهمية العلم وتذكر بأسبعية العلماء. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» ويقول عليه الصلاة والسلام: "ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة". وفي موضع آخر يقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"⁽⁵⁾.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا". ويؤكد النبي فيض التأكيد القرآني في تمجيد العلماء وتقديرهم إذ يقول صلى الله عليه وسلم "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم". ولا يقف الرسول الأكرم عند هذا الحد بل يساوي بين العلماء وذكر الله حيث يقول صلى الله عليه وسلم «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً» رواه الترمذي. وكم كان عليه رضوان الله يكرر ويقول بأن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»⁽⁶⁾. وقد ورد في الأدب النبوي أن مداد العلماء خير من دماء الشهداء فأبي تعظيم هذا للعلم والعلماء في منهج الإسلام وتعاليمه السحاء.

وليس كالإسلام دين جعل العلم فريضة وشعيرة، وحث على طلبه في كل مكان واكتسابه بكل الوسائل؛ ومن ثم فإنه حق الأطفال في التعليم يصبح واجباً دينياً لا سبيل إلى التهرب منه. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا يلقي الله أحد بذنوب أعظم من جهالة أهله"⁽⁷⁾. يتفق مع هذا الحديث المثل الصيني، "لأن تطعم طفلك دون أن تعلمه خطيئة كبرى لا تغتفر". ومن "ربى ماله ولم يرب ولده، فقد ضيع الولد والثروة"⁽⁸⁾.

1- القرآن الكريم، طه، 114.

2- القرآن الكريم، فاطر، 28.

3- القرآن الكريم، الزمر، 9.

4- القرآن الكريم، المجادلة، 11.

5- صحيح مسلم.

6- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان.

7- إحياء علوم الدين، الغزالي، مرجع سابق، ج2، (ص) 529.

8- التربية الإسلامية، نظمها وفلسفتها، أحمد شلبي، وتاريخها، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978،

(ص) 211.

كان النبي (ص) يؤكد في مناسبات كثيرة حق الأولاد على آبائهم في تعلم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. وفي هذا يروي أبي رافع عن النبي قوله: "قلت يا رسول الله للولد حق كحقتنا عليهم؟" قال صلى الله عليه وسلم: "نعم، حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة وألا يرزقه إلا طيباً". وفي رواية عن رافع بلفظ "قلت يا رسول الله: لأولادنا حق كحقتنا عليهم؟ فذكر صلى الله عليه وسلم "من حقهم على آبائهم تعليم كتاب الله والرمي والسباحة"⁽¹⁾. وهذا يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤكد على أهمية تعليم الأطفال ما ينفعهم في حياتهم وكان غالباً كما جاء في الخبر يدعو الله قائلاً " اللهم علمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني وزدني علماً والحمد لله على كل حال". ولا بأس فالنبي كان يحض على طلب العلم في أي مكان وفي أي زمان.

ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم أهمية تعليم الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة وتبدي هذا في قوله "العلم في الصغر كالنقش في الحجر"⁽²⁾. وكان المسلمون الأوائل فقهاء وعامة حريصين كل الحرص على تأصيل الأخلاق الإسلامية السامية في نفوس أطفالهم وأولادهم. وقد روي ابن خلدون أن الرشيد قال لمعلم ولده الأمين "يا أحمر أن أمير المؤمنين قد دفع لك مهجة نفسه وثمره قلبه، فاجعل يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وأمنعه من الضحك، إلا في أوقاته،.. إلى أن يقول: وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة".

وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم من قبل الأخذ بالرأي حين سأل معاذ بن جبل وقد ولاه قضاء اليمن: بماذا تقضي؟ قال: أقضي بكتاب الله وسنة رسوله. قال: فإن لم تجد؟ قال: أقضي برأيي، لا آلو (أي لا أقصر) فأثنى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله، لما يحب الله ورسوله.

وإذا كانت من كلمة تقال فإن تعظيم العلم والمعرفة الإنسانية واحترام العقل في الإسلام كانا في أصل الحضارة الإسلامية الكبرى. وقد وجد هذا التعظيم الإسلامي للعقل والعلم صداه الكبير في الثقافة الغربية فكثير من المستشرقين يعززون نشأة الحضارة الإسلامية وقيامها وشموخها إلى هذا التعظيم للعقل وإلى هذا التمجيد للعلم وإلى هذا الاهتمام الكبير بالتحصيل وطلب العلم كما وردت إشارات وتلميحاته وأوامره في القرآن والسنة. لقد نجح النبي العظيم محمد صلوات الله عليه وسلم في أن يجعل العلم وطلب العلم وتحكيم العقل منهاجاً تربوياً أصيلاً تؤكد سيرته النبوية كما يؤكد القرآن الكريم.

وما أجمل قول الشاعر في تمجيد العقل والأدب والحلم وتقوى الله:

فما خلق الله مثل العقول	ولا اكتسب الناس مثل الأدب
وما كرم المرء إلا التقى	ولا حسب المرء إلا النسب
وفي العلم زين لأهل الحجا	وأفة ذي الحلم طيش الغضب

1- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس العجلوني، ج2، القاهرة: مكتبة القدسي، 1351هـ، (ص) 95.

2- رواه البيهقي والطبراني.

التربية الأخلاقية

يسمو الإسلام برسائله الأخلاقية سموا لا يضاهيه سمو، ويرفع من شأن القيم الأخلاقية إلى أعلى مراتب التبجيل والتقدير. فالأخلاق في الإسلام كما يؤكد المنهج النبوي تشكل جوهر الرسالة ومنطلق العقيدة وجوهرها. فالمولى عزّ وجلّ يخاطب نبيّه الكريم واصفا إياه بالخلق العظيم "وإنك لعلی خلق عظیم"⁽¹⁾. وقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عنها؛ عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن"⁽²⁾. كذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، ويروى عن النبي (ص) قوله: "أدبني ربي فأحسن تأديبي". وفي هذا دعوة صريحة ومضمرة مفتوحة الأبعاد والاتجاهات لتأكيد التربية الخلقية وتاصيلها في المسلمين صغارا وكبارا وفي رسول الله لنا وللمسلمين جميعا القدوة الحسنة تيمنا بقوله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"⁽³⁾. ووضع في شخصه صلى الله عليه وسلم الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي نموذجا حيا على مدار التاريخ. وتأسيا بنبي الله وروح العقيدة الإسلامية شرعا وقرآنا وسنة نبوية انطلق المسلمون المؤمنون والعلماء منهم إلى تأصيل الروح الأخلاقية في الأطفال.

وإذا كان النبي قد تأدب على يدي رب العرش العظيم فإن تأديبه للأطفال كان في مستوى الرسالة الأخلاقية العظيمة للإسلام والمسلمين. وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم "لأن يُؤدّب الرّجلُ وِلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ". وينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله في أهمية تأديب الطفل "لأعبه سبعا، وصاحبه سبعا، وأدبه سبعا، وأترك الحبل على الغارب" وهذا القول يتضمن خلاصة التربية الحديثة ويشمل روحها ويجسد أسمى معانيها. وفي موضع آخر يقول صلى الله عليه وسلم: "ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم". وهو بذلك يريد ان يؤصل في الأطفال القيم الأخلاقية عن طريق الآباء بوصفهم القدوة الحسنة لأن ترك الأطفال دون العناية بهم يؤدي إلى اهتزاز معايير الأخلاق والقيم في نفوسهم الطاهرة. وفي موضع آخر يأمر النبي بتأديب الأبناء حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم"⁽⁴⁾. كما أمر (ص) بتعليم الأبناء الخير وتأديبهم فقال صلى الله عليه وسلم: "علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم"⁽⁵⁾.

وخير وسيلة ومنهج لبناء الأخلاق في الأطفال هو الصلاة حيث يدعو النبي إلى تمرس الأطفال بالعبادة والصلاة لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. يقول صلى الله عليه وسلم في هذا "مُرُوا صِبْيَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغُوا سَبْعًا وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْرًا وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ"⁽⁶⁾.

وكان عليه الصلاة والسلام يوجه المسلمين إلى غرس الأخلاق في أبنائهم عن طريق القدوة الحسنة ويؤكد على هذا المنهج التربوي تأكيدا منقطع النظير: فعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير، فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد

1- القرآن الكريم، القلم 4.

2- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1980، ج1، (ص) 180.

3- القرآن الكريم، الأحزاب، 21.

4- رواه ابن ماجه.

5- رواه مسلم والنسائي.

6- مسند أحمد.

الله: تعال أعطيك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه؟ قالت: تمرًا. فقال: أما أنك لو لم تفعل لي لكتبت عليك كذبة⁽¹⁾.

فالتربية الإسلامية تحض على بناء الخلق القويم في الأطفال منذ الصغر وفي مرحلة مبكرة من العمر. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتوجه بالنصيحة والكلمة الحكيمة إلى الأطفال ويذكر منهم عبد الله بن عباس فقد أرفه الرسول خلفه على بغله ركبها وسار به مليا ثم التفت إليه وقال: يا غلام أني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسال الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف⁽²⁾.

وقد نهى النبي عليه سلام الله ورضوانه الآباء عن التمييز بين الأطفال لأن التمييز يورث الأطفال أحقادا ويبدد فيهم الفضائل الأخلاقية. وفي هذا الخصوص يروي النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة: لا أَرْضِي حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى رسول الله فقال: أني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قل: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، قال: فرجع فرد عطيته⁽³⁾.

إن إيثار بعض الأبناء على بعض هو من أقبح الفعال وأرذل الخلال التي حاربها الإسلام، فعن النعمان بن بشير قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم⁽⁴⁾. عن النعمان بن بشير أن أباه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أني نحللت ابني هذا غلاما كان لي، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال لا فقال فأرجعه⁽⁵⁾. وذكر البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: إن رجلا كان جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابن له فقبله وأجلسه في حجرة، ثم جاءت بنته فأخذها إلى جنبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما عدلت بينهما⁽⁶⁾. ويروي أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال لصبي هاك ثم لم يعطه فهي كذبة"⁽⁷⁾.

وتنطلق التربية الإسلامية الأخلاقية من الإيمان بالفطرة الخيرة للإنسان والطبيعة الإنسانية، فالإنسان خير بطبعه ولا يوجد فيه نزع للشر أصيل في جبلته وتكوينه الإنساني. لأن الإنسان يولد على الفطرة والفطرة هي فطرة الخير المطلق وفي هذا يقول النبي الأكرم: يولد المولود على الفطرة

1- "الطفولة في الإسلام" المؤتمر الدولي للطفولة في الإسلام" أحمد عمر هاشم، القاهرة 9-12 أكتوبر 1990، (ص) 38.

2- "الطفولة في الإسلام"، المؤتمر الدولي للطفولة في الإسلام، أحمد ربيع، القاهرة 9-12 أكتوبر 1990. مجلد1، (ص) 97.

3- رواه البخاري.

4- نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، ج4، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت، (ص) 6.

5- الشوكاني، المرجع سابق، (ص) 6.

6- زاد المعاد من هدى خير العباد، ابن قيم الجوزية، ج4، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت، (ص) 155.

7- الحديث رواه أحمد. معنى "هاك" أني أقبل وخذ شيئا يعده به.

فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه. وهو يعني بأن الخير ماهية أصيلة في الإنسان، بينما الشر صفة عارضة يكتسبها الإنسان بعارض انتمائه إلى حالة اجتماعية تنمو فيها بواعث الشر والكرامية وهناك وسائل لإعداد الطفل روحيا وأخلاقيا على منهج القرآن والسنة وتحقق وفقا للنقاط التالية:

1- **تأصيل الأخلاق** وما تقتضيه القيم الإسلامية من حب الخير، عبر منهج العبادة بمعناها الواسع الذي يشمل الحياة، وتلك هي الوسيلة الفعالة لتربية الأخلاق وتهذيب النفس. والتأكيد في هذا السياق على أهمية العبادات المفروضة من صلاة وزكاة وصيام وحج لصقل الأخلاق وترسيخ الإيمان بالقيم الإسلامية منها سلوكيا في الحياة والنظر.

2- **تأكيد منهج القدوة الحسنة** في تأصيل الأخلاق وغرس القيم الإسلامية، وهذا يقتضي أن يكون المرربون من آباء ومعلمين ومرشدين وكبار مثلا صالحا لأبنائهم وقلذات أكبادهم، لأن الأطفال يقادون بأبائهم ويتشبهون بهم ويحاكوهم في أقوالهم وأفعالهم والقدوة الصالحة ما هي إلا عرض مجسم للفضائل، وفي هذا يقول الغزالي مؤكدا مسؤولية الوالدين في أكساب الطفل الفضائل أو الانحراف عنها بقوله: "من أوائل الأمور التي ينبغي أن تراعي في تربية الصبي حسن الخلق فإن الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين"⁽¹⁾.

3- **تلقين الطفل مبادئ الدين**، وتمرينه على العبادات، وتعويده ممارسة فعل الخير فإن ذلك يجعل منه نواة صالحة لمجتمع سليم.

- على الآباء والمربين أن يتأسوا بصاحب الرسالة الخالدة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في طرائق مواعظه، وفي أساليب إرشاداته لأن النبي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ولا يمكن أن يصل إلى كماله بشر ولا يبلغ مرتبته إنسان.

لقد أكد الفقهاء وسار على نهجهم العلماء بأن التربية الخلقية هي روح التربية الإسلامية والوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية لأن النبي عليه الصلاة والسلام جاء لإتمام مكارم الأخلاق، والغرض من التربية الإسلامية الأخلاقية لا يكون في حشو أذهان المتعلمين بالمعلومات بل في العمل على تهذيب الأخلاق وتأصيل القيم. وهنا يؤكد المنهج الإسلامي على الأهمية القصوى للآباء والمعلمين في الاقتداء بسيد الرسالة وخاتم الأنبياء بأخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في سلوكهم وفي تربية أولادهم عملا وقولا، تنفيذًا لأمر الله في قوله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا"⁽²⁾.

لقد أكد الإسلام على تأديب الطفل وتهذيبه في مرحلة الطفولة المبكرة، ومن أغفل تأديب أبنائه في الصغر كان تأديبهم في الكبر عسيرا وقد روي عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله " ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن يفيد إياه " وقد نادى الحكماء تمثلا لنهج النبي العظيم صلى الله عليه وسلم بالتربية الأخلاقية وتأديب الولد قبل تراكم الأشغال. وفي هذا يقول أحد الشعراء:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت
ولا يلين إذا قومته الخشب
قد ينفع الأدب الأحداث في صغر
وليس ينفع عند الشيبة الأدب

1- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، (ص) 73.

2- سورة الأحزاب، آية 21.

وذلكم هي الرسالة النبوية وتلك هي القيم التربوية التي تفيض بأنوار القرآن الكريم والعقيدة السمحاء. إنها العقيدة التربوية التي تنبثق من الأعماق وتستمد رحيق وجودها من ضياء الإسلام ونور الرسالة وعطاء النبوة.

تطور التربية الإسلامية

شهدت التربية الإسلامية مراحل متعددة ومتباينة في التاريخ الإسلامي منذ صدر الإسلام حتى العصور الحالية. وقد كانت هذه التربية مزدهرة في عصور الإزدهار الحضاري ومراجعة في مراحل التخلف والانحطاط. ولا بد لنا من أجل تقديم تصور موضوعي عن أحوال التربية العربية الإسلامية أن نستعرض سمات هذه التربية في المراحل التاريخية الكبرى التي شهدتها بدءاً من التربية في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والتربية في عصر الخلفاء الراشدين ثم التربية في عصر الأمويين وفي عصر العباسيين وفي مراحل الانحطاط الحضاري. وسنقدم أثناء هذا العرض صورة عن تطور النظام التعليمي والمدرسي في كل مرحلة من هذه المراحل.

التربية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم (610-632)

تبدأ هذه المرحلة مع هبوط الوحي على النبي (ص) وتنتهي بوفاته. وقد "تم في هذه المرحلة توحيد شبه الجزيرة العربية تقريباً. واجتمع العرب بالإسلام لأول مرة في دولة واحدة تضم عرب الشمال مع عرب الجنوب وتوحد البدو بالحضر. وقد بدأت في هذه المرحلة الجهود الدعوية للأمم المجاورة (الفرس والروم) إلى نو الإسلام" (1).

كان النبي عليه أفضل الصلاة والسلام وما زال المعلم الأول والمربي الأعظم في الإسلام بداية وانتهاءً. كان النبي (ص) قدوة المسلمين وينبوع معرفتهم في مختلف مجالات الحياة الدينية والأخلاقية والسياسية. ولذلك فإن كل حركة وموقف وسكنة وقول يصدر عن النبي يعد ناموساً تربوياً وأخلاقياً يهتدي به المسلمون والصالحون والتابعون. وإذا كان القرآن الكريم منهج الدراسة فإن النبي (ص) هو المعلم الذي يهتدي بنهجه وهو أسوة المسلمين يقتدون بنوره. فحياة النبي كانت تطبيقاً للمنهج القرآني وعملاً به وتفسيراً له وكان خلقه هو القرآن الكريم. ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن التربية الإسلامية كانت تربية عملية في صدر الإسلام حيث كان النبي بتعاليمه وسلوكه وأخلاقه وحكمته وعبقريته المنهل الأخلاقي والتربوي الذي ينهل منه المسلمون والتابعون في عهده صلى الله عليه وسلم.

كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة المكرمة هي المدرسة الأولى في الإسلام وكان المعلم الأول فيها هو النبي عليه أفضل السلام. وكان التلامذة الأوائل هم الصفوة المختارة من المسلمين الذي أكرمهم الله بهداية الإسلام. وكان المنهج الذي اعتمده هذه المدرسة هوة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وكانت طريقة التعليم هي الشرح والتوضيح والتفسير والتحليل وكانت وسيلة الإيضاح هي القدوة الصالحة يضربها المعلم العظيم لتلامذته الأقطاب (2).

1- مدخل إلى تطور الفكر التربوي، سامي محمد نصار، مرجع سابق، (ص) 104.

2- دراسة مقارنة لتاريخ التربية، عبد الغني عبود، مرجع سابق، (ص) 205.

وتعد مدرسة الأرقم هذه من أوائل المؤسسات التربوية في الإسلام وكانت أشبه بكلية لإعداد الدعاة والمفكرين والمناضلين والمجاهدين للدعوة في سبيل الإسلام ونشر دعوته في طول الأرض وعرضها. والطلاب الذي تلقنوا الحكمة الإسلامية في هذه المدرسة كانوا الرسل الذين أوفدهم النبي (ص) إلى الملوك والطغاة ورؤساء القبائل لدعوتهم إلى نور الإسلام.

وفي المدينة تم تأسيس أعظم مدرسة إسلامية في تاريخ الإسلام وهي مسجد الرسول ص. وكان المسجد تطويراً لنهج المدرسة الأولى مدرسة الأرقم بمعلمها ومنهجها وطلابها وطرقها وبقي المسجد يمثابة الأكاديمية التي انطلق منها النبي لينشر نور الهداية والتقى والمعرفة والمحبة في أنحاء الدنيا حتى اللحظة التي انتقل فيها النبي إلى الرفيق الأعلى سنة 633 لم (سنة 11هـ).

كان المسلمون يتحلقون حول النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فيبلغهم ما يوحى إليه من آيات الله، وما ينزل عليه من الأحكام المنظمة للأسرة والمجتمع، ويجيبهم عما يسألون ويفتيهم فيما يختلفون فيه، ويقضي بينهم في كل أمر، فكان المسجد مدرسة يتلقى فيه المسلمون تعاليم الدين وشعائره، ويتلقون أحكامه التي شملت نواحي الحياة العامة والخاصة. وكانوا في هذا المسجد يهتدون بسنة النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، وقد تخلقوا بأخلاقه وتأدبوا بأدابه فكانوا رواد الإسلام وطلائعه، وكانوا سيوفه في الجهاد ومنابره في الهداية، ووسيلته في تحرير الشعوب من الظلم والاستبداد. ومنذ ذلك الحين أضحى المسجد مركز إشعاع الفكر الإسلامي وقاعدة حضارة الإسلام.

وبقي مسجد النبي عنواناً لكل نقلة حضارية وتربوية في تاريخ الإسلام وتحول إلى منبر هداية وتقى يؤمه المؤمنون والتقى من كل أنحاء الدنيا حتى يومنا هذا. وكان مسجد النبي (ص) النقطة التي تتحرك منها الطاقة الحيوية للمسلمين فمن على أبوابه انطلقت الجيوش الإسلامية تدك الحصون في كل الدنيا لنشر الإسلام وهداية البشر، ومن محرابه كانت الخطب التاريخية لكبار الصحابة تدك أسماع الكون تأكيداً لقيم الإسلام وعظمة مبادئه. وفيه كانت تعقد حلقات العلم والنقاش والجدل وتتم الشورى وتجتمع الأمة وفوق ذلك كله كان المكان الأكرم في الدنيا لإقامة الصلاة وأداء العبادات الإسلامية الحنيفة.

وقد بلغ عدد المساجد في زمن النبي تسعة مساجد كان كل منها يقوم بدور المدرسة في الوقت ذاته. وهذا يعني أن هذه المساجد كانت بالإضافة إلى دورها الديني بوصفها مكاناً للعبادة تلعب دوراً ثقافياً بالغ الأهمية في حياة النبي وبعده. وكان عدد من الصحابة يعلمون في هذه المساجد ويقومون بتحضير المحاضرات والدروس. وكان النبي (ص) يوجه هذه المدارس ويشرف عليها ويصحح مسارها.

وعندما اتسعت الدولة لتشمل شبه الجزيرة العربية بكاملها فإن النبي كان يرسل معلمين ومربين من المدينة إلى المراكز الهامة لتعليم مبادئ الدين الجديد وجعل النبي من حكام الأقاليم مسؤولين عن التربية. وكانت تعاليم النبي تقضي بالأيام الصلاة إلا أكثر القوم علماً بالسنة وفقها بالقرآن⁽¹⁾.

وقد اهتم النبي بتعليم القراءة والكتابة وقد عين سعيد بن العاص ليعلم القراءة والكتابة وهو من المعروفين بكتابتهم الجيدة. وكان النبي عليه الصلاة والسلام كما هو معروف تاريخياً قد عقد اتفاقاً

1- تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب، ملكة أبيض، مطبعة الإنشاء، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1982، (ص) 9.

مع أسرى بدر الذين يجيدون القراءة والكتابة لإطلاق سراحهم مقابل أن يعلم كل منهم عشرة من أبناء المسلمين. ولقد شجع النبي أيضا على تعلم اللغات الأجنبية في عهده نظرا لحاجته إلى كتابة ومراسلين ومن المعروف عن زيد بن ثابت وهو من كبار كتاب الوحي أنه تعلم الفارسية والرومية والحبشية والآرامية ثم تعلم العبرية بناء على طلب من النبي ص، وكان هو الذي يكتب الرسائل الموجهة إلى اليهود في عهد النبي⁽¹⁾.

التربية في عصر الخلفاء الراشدين (632-661) من 12 إلى 41 هـ

يؤرخ لهذه المرحلة بثلاثين عاما (من 12-41 هـ). وقد تم في هذه المرحلة جمع القرآن الكريم لتوحيد الأمة على كتاب واحد، وبدأت الفتوحات الإسلامية، فتم فتح العراق وفارس وبلاد الشام ومصر. وتشكلت الدولة بمعناها السياسي. حيث أنشئ ديوان للجند وآخر للمعاشات وبيت المال وحددت القوانين الخاصة بالرواتب والأرزاق للمقاتلين وتم تأسيس نظام الشورى بالمعنى السياسي⁽²⁾.

وقد شهدت هذه المرحلة أحداثا جسام تمثلت في الفتنة الكبرى ومقتل الخليفة الراشدي عثمان ر ثم مقتل الخليفة علي بن أبي طالب (ر). وعقب هذه الأحداث ثورات وانقلابات وتوترات بين المراكز والأطراف. ولكن المسلمين استطاعوا بفضل الله سبحانه وتعالى تجاوز هذه المحن الكبرى والاستمرار في بناء دولتهم ونشر دعوتهم وتأسيس حضارتهم.

وقد تأثرت هذه المرحلة بعاملين أساسيين:

1- وفاة النبي (ص) وانقطاع الوحي.

2- اتساع الفتوحات الإسلامية واحتكاك المسلمين بالوهج الحضاري للأمم المجاورة.

ويتمثل تأثير العامل الأول في غياب النبي وفي الفراغ العظيم الذي تركه. فقد كان النبي يغني الأمة بمواقفه وحكمته وسداد رأيه وكيف لا وهو يستمد نور حكمته من الله رب العالمين. ومع غياب النبي (ص) ترتب على المسلمين أن يجتهدوا في استنباط الحكام من القرآن وأن يعتمدوا على النفس في توجه المجتمع والتربية والحياة في مختلف أصقاع الدولة.

أما العامل الثاني فقد تمثل في اتساع أرجاء الدولة. فلم تعد الدولة دولة صغرى قوامها عدد من القبائل إذ أصبحت الدولة تمتد لتشمل إمبراطوريات وممالك عرفت بتقدمها وحضارتها ورفقيها. وهنا ترتب على المسلمين أن يرتقوا بأساليب عملهم السياسي والفكري والتربوي إلى مستوى لم يعهده ووضع لم يألفوه. وقد تطلب هذا منهم بذل جهود كبيرة في إعادة تنظيم الدولة والأيدولوجيا والفكر والاجتهاد إلى مستوى يرقى بعظمة الأمة الإسلامية الجديدة.

وفي المستوى التربوي، نهج الخلفاء الراشدون نهج النبي وتوجوا سلوكهم بالامتثال لقيمه واتخذوا من سلوكه القدوة الحسنة. فالنبي كان معلمهم وسيدهم وهاديهم فجعلوا من سيرته وحياته المصدر الأول لكل نهج تربوي أو ديني. وبقي المسجد مسجد النبي (ص) مركز الهداية والتقى في عهد الخلفاء الراشدين ر فكان دار تربية ومركز للقيادة وسياسة الدولة وموطن لكل حدث جليل.

1- تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب، ملكة أبيض، مرجع سابق، ص11.

2- مدخل إلى تطور الفكر التربوي، سامي محمد نصار، مرجع سابق، (ص) 105.

وفي العصر الراشدي تم تجميع القرآن، لأنه عندما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كانت نصوص القرآن موزعة في صحف متفرقة كتبها كتاب الوحي من الصحابة ومنها ما كان محفوظا في صدور الحفاظ.. وفي عهد أبي بكر (ر) أمر بجمع القرآن، فجمع في صحف، وتولى جمعه زيد بن ثابت وأودعت الصحف عند أبي بكر، وانتقلت من أبي بكر إلى عمر ثم من بعده إلى ابنته حفصة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما تولى عثمان الخلافة، أخذ الصحف من حفصة وعهد إلى جمع من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمعها في مصحف واحد، وكتب منه أربع نسخ هي المعتمدة اليوم عند جميع المذاهب الإسلامية وأمر بإحراق ما عداها فأحرقت.

وأقبل المسلمون بعد ذلك على جمع الحديث والاستعانة به في تفسير القرآن فنشأ من ذلك علم الحديث، ثم استخلصت من القرآن والحديث الأحكام القانونية المنظمة لحياة الأفراد والأسرة والمجتمع، فنشأ عن ذلك علم الفقه.

وقد تأثرت تلاوة بعض آيات القرآن بلهجات حفاظه، واختلفت باختلافها، وعرف هؤلاء الحفاظ باسم (القراء) وكان من أشهرهم في العهد الراشدي: عبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وسعيد بن العاص رضي الله عنهم جميعا. وكان حفاظ الحديث في العهد الراشدي من الصحابة الذين لزموا الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه ورووا عنه وأشهرهم: عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك.

وفي هذه المرحلة نشط المسلمون الأوائل في إلقاء الدروس والمحاضرات في مسجد النبي ويشار بالبنان في هذه المرحلة إلى أهمية الجهود التي بذلها الصحابييان علي بن أبي طالب وعبد الله بن العباس في إلقاء المحاضرات الأسبوعية في مجال الفقه والمنطق والحديث والبلاغة وقد شكلوا مع غيرهم من الصحابة الناشطين في هذا المجال نواة حركة علمية نشطة كان لها أكبر الأثر في تحقيق التوازن الإسلامي فيما بعد الفتوحات الكبرى في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي هذه المرحلة وتحت تأثير الاحتكاك بالحضارات المجاورة بدأت الحياة الفكرية تشهد ولادة علوم أخرى غير العلوم الدينية مثل المنطق والقانون والسياسة. وقد نشطت مفاهيم وتصورات تربوية جديدة على المسلمين. وهناك من يعتقد بأن مقولة علموا أولادكم السباحة والرمية وركوب الخيل جاءت تحت تأثير هذه الضغوط. وبوضوح أكبر يمكن القول بأن المثل التربوي الإسلامي الذي يقول: "علموا أولادكم على غير ما تعلمتم فإنهم مولودون لعصر غير عصركم وزمن غير زمنكم" قد ضرب في هذه المرحلة حيث المستجدات التي فاقت حدود تصور المسلمين الأوائل وتجاوزت خبرتهم⁽¹⁾.

لقد أرسل الخليفة الراشدي الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاة الدين ومعلميه إلى مختلف أصقاع الدولة وأمصارها كما أرسل معلمين للقرآن الكريم ووعاظ لجميع المناطق التي فتحت في عهده. وقد عين في كل مسجد إماما يقوم بالتعليم والوعظ والإرشاد والهداية. وكان ذلك هو الحال في عهد عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا⁽²⁾.

1- مقدمة في تاريخ التربية، عبد المحسن حمادة، مرجع سابق، (ص) 165.

2- أصول التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، القاهرة 1993، صص 113-143.

التربية في العصر الأموي (661-749م) (41-132هـ)

استمر هذا العصر تسعين عاما حافلة بالأحداث الجسام والتحويلات التاريخية الكبرى. لقد شهد الفتح الإسلامي في هذا العصر أوج امتداده، ونشبت الحروب الداخلية في بداية تشكل الدولة، وفي هذا العهد تحولت الدولة الإسلامية إلى وراثية وصبغت بالصبغة القومية العربية، ونقلت العاصمة من المدينة إلى دمشق، وتشكلت الدواوين وعربت وظهر نظام الحجابة وكان الخلفاء الراشدون لا حجابة لديهم⁽¹⁾.

وفي العصر الأموي بلغ الاحتكاك الثقافي أوجه مع الثقافات المجاورة ولاسيما الرومانية واليونانية والنسطورية.

ومع تنازل الحسن بن علي عن الخلافة إلى معاوية ابن أبي سفيان، انتقلت الخلافة إلى بني أمية وتحقق الأمل الذي كانوا يرقبونه ويعملون من أجله. وقد انطوى العهد الأموي على فترتين:

أ - الفترة السفيانية: وهي الفترة التي تولى الخلافة فيها معاوية ابن أبي سفيان وابنه يزيد بن معاوية وحفيده معاوية بن يزيد وقد امتدت 23 سنة (41-64هـ).

ب- الفترة مروانية: وهي الفترة التي انتقلت فيها الخلافة إلى مروان بن الحكم حتى عهد حفيده مروان بن محمد بن الحكم، آخر خلفاء بني أمية، ومدتها 68 سنة (64-132هـ).

وفي خلال الفترتين ومدتهما 91 سنة وتسعة أشهر توالى أربعة عشر خليفة كان أعظمهم شأنًا معاوية ابن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وأخوه هشام بن عبد الملك وكانت مدة خلافتهم (71 سنة) من أصل (91 سنة) فالدولة الأموية كانت دولتهم، وفي عهدهم امتدت رقعتها من البحر الأطلسي إلى حدود الصين، ثم أخذت شمس الخلافة بالغروب، بما شبت فيها من ثورات أضرمها الصراع على الخلافة وانتفاض على الحكم وثورات الخوارج وحروب أهلية أثارها العصبية القبلية بين المضرية واليمانية. وقد ترتب على انتقال الخلافة إلى بني أمية النتائج التالية:

في المجال السياسي

أ- نقل العاصمة من الكوفة إلى دمشق وكان علي ابن أبي طالب (ر) نقل العاصمة من المدينة إلى الكوفة وقد أغضب نقل العاصمة إلى دمشق أهل الحجاز وأهل العراق.

ب- تحول الخلافة إلى ملك موروث، ينتقل بعهد من الخليفة السابق إلى ابنه أو إلى اثنين أو أكثر من أولاده بالترتيب، كما فعل عبد الملك بن مروان حين عهد بالخلافة إلى ولديه الوليد وسليمان. وكان الخليفة يأخذ البيعة لمن يعهد بالخلافة من أولاده من بعده، وإذا ما رفض أهل مدينة البيعة، فكانت تؤخذ بالقهر والغلبة كما فعل مسلم بن عقبة المري، حين أخذ البيعة ليزيد بن معاوية من أهل المدينة سنة 63هـ.

ج- نشوء عهد من الاستقرار السياسي في الدولة الإسلامية استمر حوالي ربع قرن، أتاح لها هضم الفتوحات التي تمت في عهد الخلفاء الراشدين وتنظيمها في إطار الحكم الإسلامي.

د- أصبح نظام الخلافة أشبه شيء بالنظام الملكي أو القيصري، ومن ثم زادت الصفة الزمنية في الخلافة على الصفة الدينية. وأخذت الدولة بالنظام الإداري والمالي الذي كان متبعًا في الدولتين الفارسية والبيزنطية.

1- المرجع في تاريخ التربية، عبد المحسن حمادة، مرجع سابق، (ص) 166.

الفتوحات الإسلامية:

في عهد معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ) استمرت الفتوحات في صعود، فقد امتدت شرقا إلى ما وراء النهر وفتحت بخارى وبلاد الصغد وتوغل المسلمون في إفريقية واستولوا على (قابس) و (بنزرت) و (سوسة) على يد معاوية ابن حديج، أمير إفريقية، ثم فتحت (قفصة) و (قسطنطينة) على يد عقبة وسجستان بعد انتفاضهما واستمرت غارات الطوائف في جبهة الروم، وتوالى الغارات البحرية على جزيرتي (صقلية) و (رودوس) تلك الغارات التي مهدت للاستيلاء عليهما.

وبوفاة هشام بن عبد الملك تنتهي المرحلة المروانية الأولى، وفيها امتدت رقعة الدولة الإسلامية من إسبانيا والبحر الأطلسي والمغرب الأقصى إلى حدود بلاد الهند والصين، ومن بحر الخزر وأرمينية إلى المحيط الهندي. وقد اعتبر الخلفاء الأمويون حدود البلاد المفتوحة بدايات لفتوحات مستمرة لا تنتهي عند حدود، ما دام الجهاد مفروضا على المسلمين لنشر رسالة الإسلام، وما دامت الغنائم تدفع المجاهدين لمتابعة الجهاد.

الحياة الفكرية في عهد الأمويين

وقد أبدى الخلفاء الأمويين اهتماما كبيرا بالعلم والثقافة والتربية وتركوا تراثا كبيرا في مختلف الميادين المعرفية والتربوية. فعملوا على تشجيع العلم والعلماء ونشر المساجد والداووين وعلوم أبناءهم تعليما يرقى بهم إلى المسؤوليات الجسام في توجيه دفة الدولة والخلافة.

وقد شكلت العلوم الدينية نواة الحركة العلمية في الدولة حيث علوم تفسير القرآن والحديث والفقه والتشريع والقياس والاجتهاد. وكانت هذه العلوم المحور الأساسي للحركة الثقافية والفكرية في عهد الأمويين. وفي هذا العصر كثر رواة الحديث من التابعين الذين رووا عن الصحابة وأشهرهم: سعيد بن جبير، وعلي زين العابدين، وعروة بين الزبير، وسعيد بن المسيب، ونافع بن جبير، والشعبي، وطاووس بن كيسان، ومكحول الشامي، ونافع مولى ابن عمر، وابن حزم الأنصاري، وزيد بن علي بن الحسين والزهري.

ومن ثم بدأ اهتمام الأمويين بالتراث الفكري اليوناني، وكان الأمير خالد بن يزيد بن معاوية رائد هذا الاهتمام، فقد أحضر من الإسكندرية جماعة من فلاسفة اليونان ممن تفصحوا باللغة العربية وأمرهم بنقل الكتب من اليونانية إلى العربية ودرس معهم صناعة الكيمياء وألف فيها رسائل.

وقد أولى الخلفاء الأمويون الطب أهمية كبيرة وجعلوه مدخلهم إلى العلوم العقلية اليونانية. فاحتلت الفلسفة الإغريقية مكانة مرموقة في عهدهم حتى أن الخليفة الأموي الذي عرف بالخليفة الراشدي الخامس لتقاه وزهده وعدله وحكمته وورعه كان قد أجاز ترجمة الكتب والمؤلفات والمخطوطات الأجنبية ولاسيما الطب منها⁽¹⁾.

وقد لعب المسجد دورا كبيرا وخطيرا في الحياة الثقافية والفكرية للأمة في عهد الأمويين ولا يزال المسجد الأموي في دمشق شاهدا تاريخيا على المكانة الكبيرة التي احتلها في ميدان المعرفة والعلم. وكانت الحلقات العلمية تعقد فيه وما زالت بعض التقاليد العلمية قائمة فيه إلى يومنا هذا.

وقد انتشرت الكتايب وكانت على نوعين: أحدهما يدفع فيه الطلاب رسوما لتعليمهم أما الآخر فكان مجانيًا لأبناء الفقراء والمحتاجين. وكان يطلق على القائمين في هذه المدارس أسم المعلمين.

1- ضحى الإسلام، أحمد أمين، الجزء الأول، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1933، (ص) 271.

وكان العلوم التي تلقن للأطفال تتألف من مواد عدة أهمها: القراءة والحساب والسنن والفرائض والحديث والقرآن والنحو والعروض وأشعار العرب وأيامهم⁽¹⁾.

وقد أرسى الأمويون تقليدا يتم بموجبه تعليم أبنائهم تعليما خاصا حيث يستدعى المعلمون إلى القصور ليقوموا بتعليم أبناء الأمراء والخلفاء والنافذين وكان يطلق على المعلمين تسمية المؤدبين. وكان التعليم في القصر يخضع لبرامج محددة ومرسومة يشارك في تحديدها كبار العلماء وجهابذة الفقهاء. وقد أرسل الخلفاء الأمويون أبناءهم إلى البادية لتعلم اللغة العربية على أصولها وصلل اللسان بصورة تمتع عنه اللحن والعجمة. وكان معاوية قد بدأ هذا الأمر وأصبح تقليدا من بعده حيث أرسل ابنه يزيد إلى بادية الشام عند أخواله لاكتساب اللغة والفضائل العربية. وقد أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز من قبل والده لتعلم الفقه وأصول الدين في المدينة وكان عمر بين عبد العزيز رضي الله عنه فقيه زمانه وقدوة عصره في الإيمان والتقوى والعلم والفضيلة.

وقد عني الأمويون عناية كبيرة بالمكتبات العلمية والكتب، ويعد بيت الحكمة الذي أنشأه معاوية أقدم الخزائن العربية وأكثرها أهمية في عصره. وقد أنشأ هذا الدار في قصره وحظي بعناية خلفائه وأحفاده من بعده. ومن مآثر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن فتح هذه الدار للعامة من الناس بعد أن كانت خاصة بأهل القصر وأبناء الأمراء والخلفاء⁽²⁾.

ويؤثر للأمويين أنهم شجعوا نشأة المدارس الفكرية الكبرى في الإسلام. وقد عرف عصرهم يعصر الصراع بين هذه المدارس ولاسيما في علم الكلام بين مدارس: المعتزلة والأشاعرة والقدرية والمرجئة والصوفية.

التربية في العصر العباسي (750-1258م) (132-656هـ)

استمر حكم الدولة العباسية زهاء خمسة قرون من الزمن. وقد انتقلت الخلافة إلى بني العباس بعد نجاح الدعوة السرية التي أطلقها دعائهم في خراسان. وفي يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة 132هـ دخل الكوفة أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وبويع في مسجدها، وألقى في أهل الكوفة خطبا، بين فيه حق بني العباس في الخلافة ثم لقب نفسه بالسفاح.

وقد ترتب على انتقال الحكم إلى بني العباس مجموعة من النتائج وأهمها:

أولا- نقل العاصمة من الشام إلى العراق بعد صراع دام أكثر من قرنين.
ثانيا- قيام صراع بين أشرف العرب وأشرف الموالى من الفرس على نيل مناصب الدولة.
ثالثا- اشتداد مقاومة الناقمين وتوالي ثوراتهم على الحكم العباسي، وانشغال الدولة بقمعها مما أدى:
أ - توقف الفتوحات وتحول الدولة العباسية من موقف الهجوم - وهو موقف الدولة الأموية - إلى موقف الدفاع، واعتبار الحدود التي وصل إليها الأمويون في فتوحاتهم، حدودا نهائية والوقوف عندها والاكتفاء بالدفاع عنها.

ب - عجز الدولة عن ضبط الحكم في الولايات الإفريقية، مما اضطرها إلى السكوت والاعتراف بحالة راهنة قضت بانتزاع بعض الأقاليم من سيادة الدولة، كما فعل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي الملقب بالداخل، حين انتزع الأندلس سنة 138هـ وأقام فيها إمارة مستقلة

1- دراسة مقارنة لتاريخ التربية، عبد الغني عبود، مرجع سابق، (ص) 216.

2- تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب، ملكة أبيض، مرجع سابق، (ص) 16.

تحولت إلى خلافة سنة 300هـ في عهد عبد الرحمن الناصر وكما فعل إدريس الأول، بعد نجاته في وقعة (فخ) سنة 169هـ، وإقامته في المغرب دولة علوية مستقلة، كذلك أدى اختلال الأمور في المغرب الأدنى (تونس) إلى تولية إبراهيم بن الأغلب عليه ومنحه الاستقلال الذاتي سنة 184هـ، وإنشائه دولة بني الأغلب، لتحول دون امتداد دولة الأدارسة نحو المشرق.

رابعا - **تخصيص بعض الولاة بإقليم من أقاليم الدولة** استقلالا، مكافأة لهم لقيامهم بخدمة الدولة، كما فعل المأمون بتخصيص طاهر بن الحسين بإقليم خراسان إمارة مستقلة يتوارثها أبناؤه من بعده، وذلك مكافأة له للتغلب على أخيه الأمين في حصاره لبغداد والفوز بقتله وحمل رأسه إليه. وغالبا ما يميز المؤرخون بين مرحلتين في العصر العباسي وهما مرحلة الازدهار ومرحلة الضعف والانحطاط.

التربية في العصر العباسي الأول (750-847م) (132-232هـ)

امتد هذا العهد مائة عام وهو عصر ازدهار الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في العهد العباسي. وفي هذه المرحلة وصل التطور الحضاري غايته في الدولة العربية الإسلامية، فازدهرت العلوم والفنون والاكتشافات العلمية وظهر عمالقة المفكرين المسلمين في مختلف المجالات والاتجاهات العلمية والمعرفية.

ويعود هذا الازدهار إلى عوامل عديدة أهمها:

- 1- تشجيع الخلفاء العباسيين للعلم والمعرفة العلمية وعشقهم ولعلمهم بها مثل المأمون وهارون الرشيد والمعتصم وغيرهم من محبي العلم وطلابه.
- 2- الوفرة الاقتصادية حيث كانت الدولة في أوج قوتها الاقتصادية والسياسية وتوفر الاستقرار السياسي للنهضة الحضارية.
- 3- الانفتاح بلا حدود على الثقافات والحضارات الإنسانية والتفاعل معها بلا حدود. وقد أدى ذلك إلى عملية تفاعل حضاري هائلة أنتجت أعظم حضارة فكرية في التاريخ الإنساني.
- 4- نشاط الترجمة من اللغات الأجنبية الفارسية واليونانية إلى العربية حيث كان المترجمون يحصلون على مكافآت تزن كتبهم ذهباً.

الحياة الدينية

في العصر العباسي الأول كثر المحدثون ومن أشهرهم صالح بن كيسان المدني، وعمرو بن قيس الكندي، وعبد الله بن طاووس المدني، وجعفر الصادق، والأوزاعي، وحيوة بن شريح، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وشريك النخعي، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وموسى الكاظم، ويحيى بن آدم، وعبد الله بن الزبير الحميدي، والفضل بن دكين، ونعيم بن حماد، وابن أبي شيبه، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن منيع المعروف بالأصم وغيرهم.

وكان الحديث منذ العصر الأموي ومن بعده العصر العباسي قد كثر فيه الوضع والتزوير، وكان الدافع السياسي الغالب على وضعه. ولذلك ظهرت الحاجة إلى تمحيصه وتمييز الصحيح من الموضوع. وقد تولى ذلك جماعة من أهل الحديث اشتهر منهم محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج ومحمد بن ماجه وأبو داود السجستاني ومحمد الترمذي. وقد جمع كل منهم ما تحرى صحته من الأحاديث في كتاب، وعرفت كتبهم بالصحيح، وقد صنفت الأحاديث فيها على روايتها، وتعتبر أصح كتب الحديث. ووضع المحدثون من الفقهاء كتباً في الأحاديث الصحيحة صنفت على

موضوعات الفقه، منها موطأ مالك ومسند أحمد وسنن النسائي. وقد أقبل الناس على دراسة الحديث وتولى شرحه كبار محدثي العصر ومنهم أحمد البزار ومحمد المروزي وابن راهويه والحافظ النسوي وأبو القاسم البغوي وسليمان الطبراني والدارقطني، وغيرهم.

الحياة الفكرية

في العصر العباسي الأول كما أوضحنا نشطت عملية الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية وكان أول نقل جرى فيها في عهد أبي جعفر المنصور حين قام عبد الله بن المقفع بنقل عدد من كتب الملوك من الفارسية إلى العربية واستمد كتاب كليلة ودمنة من قصص فارسية وهندية.

وفي عهد هارون الرشيد ومن بعده ابنه المأمون ازدادت الرغبة في النقل وأنشأ المأمون (بيت الحكمة) ووقف عليه الأموال، وأخذ يجمع فيه ما يحصل عليه من كتب الأوائل، ويروى أنه لما انتصر على الروم سنة 215هـ/831م وهزم الإمبراطور تئوفيل طلب إليه أن يرسل إليه عوضاً عن الغرامة الحربية التي فرضها بعد الانتصار عليه ما طرح في السرايب من كتب الفلسفة الجامعة لعلوم اليونان. لكن الكنيسة بعد أن اشتد سلطانها، رأت في هذه الكتب كفراً فأمرت بطرحها في السرايب لكي لا تقع في أيدي الناس. وقد استجاب الإمبراطور لطلب المأمون فأرسل إليه ما طلب مغتبطاً بما وفر له من المال. أما المأمون فقد اعتبر الحصول على تلك الكتب كسباً عظيماً.

وقد ضم بيت الحكمة فريقاً من العارفين بعلوم الأوائل ولغاتها وفيهم النصارى من النساطرة، كآل بختيشوع وآل حنين وفيهم اليهود كابن ماسرجويه وفيهم الصابئة كثابت بن قرّة، ونشطت الحياة العلمية عن طريق الترجمة والتأليف. لترجمة الكتب التي جمعت فيها من اليونانية والهندية والسريانية إلى اللغة العربية، تلك الكتب التي جمعت علوم الأوائل في الطب والرياضة والفلك والأدب والفلسفة.

ففي الفلك والرياضة قام يحيى بن أبي منصور الفارسي المعروف بيحيى المنجم بتكليف من المأمون برصد الكواكب، وقام موسى بن شاكر وأولاده بوضع أسس علم الحيل (الميكانيك) ووضع محمد بن موسى الخوارزمي الجداول الفلكية المبينة لمواقع النجوم وحساب حركاتها والمعروفة باسم (الزيج) كما وضع أسس علم الجبر، وترجم محمد بن إبراهيم الفزاري عن الهندية كتاب (السند هند). واشتغل جابر بن حيان بالكيمياء، ونالت مدرسة (جنديسابور) في الطب شهرة عظيمة أيام آل بختيشوع، وترجم ثابت بن قرّة من السريانية والعبرية واليونانية كتباً كثيرة في الرياضيات والمنطق والفلك وتلاه في الشهرة ابنه سنان. وقد شارك المسلمون على اختلاف قومياتهم في مسيرة العلم مهتدين بالإسلام، عاملين على الاستعانة به في صقل العقل والاستهداء بنوره في معرفة الله، واتخذوا اللغة العربية - وهي لغة القرآن الجامعة لهم - اللغة المعبرة للعلم الذي حملوه، فكان علماً إسلامياً في بنيانه عربياً في بيانه.

العصر العباسي الثاني (936-1914م) (324-1332هـ)

في العصر العباسي الثاني بدأ الانحلال والاضطراب يهز أركان الدولة. وتمتد هذه المرحلة لفترة طويلة من الزمن حيث بدأت باحتلال البويهيين لبغداد عام 945م/334هـ واستيلاء الفاطميين على مصر عام 969م/358هـ. وقد تتالت الأحداث المؤلمة وبدأت الدولة تهت وتضعف وتتقلص على شكل تموجات انحسارية حتى سقطت الخلافة العباسية على يد هولاكو 1258م/656هـ. وبدأ بعد ذلك

خضوع المنطقة العربية إلى موجات من الغزو ومنها الغزوات الصليبية ثم الاحتلال العثماني لبلاد الشام ومصر عام 1517 واستمرت الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الأولى عام 1914. وما زالت الدول العربية تهن وتضعف وتضعف وتهن حتى يومنا هذا.

ومع هذا الضعف كان الحركة العلمية والثقافية تشهد تراجعاً كبيراً في مختلف الاتجاهات والميادين وبانتهاء العصر العباسي الأول انتهى عهد كبار الفقهاء، وفيه تأسست المذاهب الفقهية وتقرر أصول التشريع، وبدأ في العصر العباسي الثاني عهد الشروح المستفيضة لكتب المذاهب، وفيه أنشئت المدارس لتدريس الفقه، ومن أشهرها المدرسة النظامية في أصفهان وبغداد، وهي المدرسة التي بناها نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ملكشاه.

سمات التربية الإسلامية في مختلف المراحل التاريخية:

يتميز بعض المفكرين بين أربع مراحل في تطور التربية الإسلامية في العصر الوسيط ويحددون لكل مرحلة من هذه المراحل بعض السمات الأساسية. ويطلق على المرحلة الأولى مرحلة البناء وهي المرحلة التي تبدأ مع ظهور الإسلام وتنتهي مع نهاية الدولة الأموية، أما المرحلة الثانية وهي مرحلة العصر الذهبي فتبدأ مع بداية الخلافة العباسية وتنتهي مع سقوط بغداد على يد هولاكو. أما المرحلة الثالثة وهي مرحلة الانحطاط والتدهور فهي التي تبدأ بالحكم العثماني. أما المرحلة الرابعة فهي المرحلة التي تبدأ مع استقلال الدول العربية عن الحكم العثماني وتمتد حتى العصر الراهن وهي المرحلة التي يطلق عليها مرحلة التجديد وإعادة البناء⁽¹⁾.

ومن سمات التربية الإسلامية في المرحلة الأولى مرحلة البناء:

- 1- كانت تربية عربية إسلامية خالصة.
 - 2- هدفت إلى إرساء قواعد الدين ومبادئه الحنيفة.
 - 3- اعتمدت على العلوم الدينية الفقه والحديث والقرآن.
 - 4- اعتمدت على المساجد والكتاب مراكز للتعليم.
- ومن سمات التربية في المرحلة الثانية في عصر الازدهار العصر الذهبي:

- 1- ظهور المدارس كمؤسسات تربوية وتعليمية هامة
- 2- الاهتمام بالعلوم العقلية ولاسيما الطب والفلسفة والفلك والمنطق.
- 3- ظهور منظومات فكرية تربوية متقدمة.

أما التربية العربية في مرحلة التهور والانحطاط فقد عرفت بالخصائص التالية:

- 1- عانت من جمود التفكير وتحجر الفكر وتراجع العلوم والفنون.
- 2- الاقتصار على العلوم الدينية ولاسيما الفقه والحديث.
- 3- عانت من جمود المؤسسات التعليمية⁽²⁾.

1- تاريخ التربية في الشرق والغرب، محمد منير مرسي، مرجع سابق، (ص) 245.
2- تاريخ التربية في الشرق والغرب، محمد منير مرسي، مرجع سابق، صص 245-246.

مراكز التعليم الإسلامي ومؤسساته

تنوعت مؤسسات التعليم في التاريخ الإسلامي وشملت صيغا متنوعة وأشكالا مختلفة. وتعد المساجد والكتاتيب وبلاطات الخلفاء والبيرمستانات والمكتبات ودور الحكمة وحوانيت الوراقين من أهم المؤسسات التربوية التي عرفت الحضارة العربية الإسلامية على مدى القرون السابقة. وقد اختلفت الأهمية التي لعبها كل نوع من هذه المؤسسات باختلاف الزمان والمكان⁽¹⁾.

وقد ظهرت المدرسة كمؤسسة رسمية حكومية في عام 1066 م الموافق عام 459 هجرية وذلك عندما أعلن الوزير السلجوقي نظام الملك أول مدرسة حكومية منظمة وفقا للمعايير التربوية الحديثة. ومن ثم توالى الإعلان عن تأسيس مثل هذه المدارس في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية. وقبل هذه المرحلة كان التعليم يتم في المنازل والمساجد والبيوت وذلك بطريقة عفوية غير ممنهجة. ويمكن لنا أن نتحدث عن المؤسسات التربوية قبل انتشار المدارس النظامية ثم عن هذه المؤسسات بعد إنشاء المدارس النظامية.

أولا - المؤسسات التربوية قبل انتشار المدارس النظامية

تواكب هذه المؤسسات المرحلة الأولى من تطور النظام التربوي في الدولة. وتشكل هذه المؤسسات المراكز التربوية الكلاسيكية التي نجدها في أكثر الحضارات القديمة حيث كان المنزل ومكان العبادة والكتاتيب هي الأماكن الرئيسية لبث العلم والمعرفة وتعليم الأجيال.

1- الكتاب أو الكتاتيب

الكتاب هو موضع تعليم الكتب كما ورد في لسان العرب لابن منظور. وغالبا ما تستخدم لفظة الكتاتيب للإشارة إلى هذه الأماكن التي كان يتعلم فيها الأطفال عن طريق الكتب. والكتاب هو عبارة عن مكان مستقل أو غرفة في منزل أو حجرة مجاورة للمسجد أو ملحقة به أو خيمة المؤدب في البادية يتم فيها تعليم الأطفال القراءة والكتابة. وقد يكون الكتاب مكان واسع يتسع لمئات التلاميذ وقد يتسع لثلاثة منهم.

وقد عرفت الكتاتيب في الجاهلية قبل ظهور الإسلام ثم أصبحت المكان الرئيس للتعليم في صدر الإسلام⁽²⁾. ويذكر المؤرخون وجود نوعين من الكتاتيب في صدر الإسلام:

- كتاتيب لتعليم القراءة والكتابة ولم يكن هناك إقبال كبير على هذا النوع من الكتاتيب.
- كتاتيب لتعليم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف⁽³⁾. وكان لهذا النوع من التعليم أهمية مركزية وكبيرة في الحياة الإسلامية، لأن الكتاب كان المكان الأساسي لتعليم الأطفال القرآن والحديث وذلك لما يتمتع به هذا التعليم من أهمية وخطورة في حياة المسلمين. وقد لعب الكتاب دورا كبيرا في مسار التاريخ الإسلامي في مختلف المراحل التاريخية من صدر الإسلام حتى مرحلة تراجع الحضارة العربية الإسلامية وسقوطها.

1- تطور الفكر التربوي الإسلامي، فيصل الراوي رفاعي وآخرون، مكتبة الفلاح، الكويت، 2000، ص177.

2- التربية عبر التاريخ، عبد الله عبد الدايم، مرجع سابق، (ص) 146.

3- تاريخ التربية، محمد عبد الرزاق شفشق و منير عطا الله سليمان، مرجع سابق، (ص) 187.

وكان المنهج الأساسي للكتاب تعليم القرآن والحديث النبوي الشريف والكتابة والقراءة بصورة عامة. وكانت أحوال الكتاب تختلف بين البلدان والأمصار الإسلامية في الشرق والغرب. فبعض الكتاب كانت تدرس الأدب والشعر إلى جانب القرآن.

وكان المعلمين يتقاضون أجرهم عينيا من الطلاب ويذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان أحد معلمي الكتاتيب. وكان الشروط المطلوبة للمعلم أن يكون حافظا للقرآن الكريم قادرا على تجويده ملما بأحكام الدين ونواحيه عارفا بالقراءة والكتابة. وكان التعليم في الكتاتيب يعتمد على التلقين والحفظ والاستظهار وكان المعلم يمارس العقاب الجسدي على الطلاب المقصرين في تعليمهم.

2- المساجد

يمثل المسجد المكان الحيوي للمسلمين صغارا وكبارا شبابا وشيبا. لأن المسجد هو المكان الذي يتشكل فيه عقل المسلم وقلبه. وما زال المسجد منذ العهد النبوي حتى اليوم يحتل مكانة عظيمة في قلوب المسلمين وفي عقولهم. والمسجد لم يكن يوما مجرد مكان للعبادة والسجود وأداء الواجبات الدينية المقدسة بل كان وما زال مؤسسة تربوية تلعب دورا ينقطع نظيره في تأهيل الناشئة نفسيا وروحيا وأخلاقيا. فالمسجد مؤسسة تربوية بطبيعته بكل الطقوس الدينية التي يتضمنها.

وقد سبق لنا أن تحدثنا عن مسجد النبي عليه الصلاة والسلام وكيف كان منارة علوية لقيم الحق والعدالة. وقد عرفنا بأنه كان المكان السؤدد الذي تخرجت منه أجيال الفقهاء والعلماء المسلمين الذي أومضوا في الدنيا بنور الإسلام فنشروا تعاليمه وقيمه ورسالته إلى مختلف أصقاع الدنيا.

وعلى غرار ما استعرضناه في الحديث عن المسجد النبوي في المدينة جرت الحياة الإسلامية في مختلف المساجد في الدولة الإسلامية فكان المسجد مؤسسة تربوية لا تضاهيها مؤسسة أخرى ولاسيما فيما يتعلق بتشكيل الإنسان المسلم روحيا ونفسيا.

وقد لعبت المساجد الكبرى في عواصم الدولة ومراكزها دورا أشبه بدور الأكاديميات والجامعات الكبرى وما زالت حتى اليوم. حيث كان الجامع المكان الذي يحتل فيه الفقهاء والعلماء زوايا يعرفون بها لتعليم الفقه والحديث والبيان الإلهي. وتطفي الإشارة إلى الجامع الأموي والجامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامع الكوفة ومسجد البصرة والقيروان وغيرها من المؤسسات الكبرى التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية في مختلف المراحل التاريخية وفي مختلف أصقاع الكون. وباختصار كانت المساجد تشكل دررا في جبين الحياة الدينية والتربوية في العالم الإسلامي وكان لها الدور الأكبر في انتشار الإسلام وانتشار قيمه الأخلاقية والإنسانية.

3- القصور

سيقت الإشارة إلى أن الأمويين كانوا يستقدمون لأبنائهم المعلمين والمؤدبين. وكان الخليفة يخصص مكانا لتعليم الأطفال وتأديبهم. وانتشرت هذه المنهجية في مختلف أصقاع الدولة بحيث أصبح الأمراء والقادة والولاة والوزراء وكبار رجال الدولة يعتمدون على المؤدبين والمعلمين في تعليم أبنائهم في داخل قصورهم وسراياهم.

في هذا النوع من التعليم كان الأطفال والصغار يتعلمون فنون الحياة وعلومها التي تبدأ بالقرآن والحديث والفقه والقانون والسياسة والفروسية والآداب العامة والشعر والموسيقا. وكانت هذه المضامين ضرورية لإعداد الصغار من أجل تحمل مسؤولياتهم الكبرى السياسية وهم كبار. وهذا يذكرنا عندما مررنا بالمرحلة الأخرى كيف أن أرسطو كان معلما للإسكندر الأكبر وكان مؤدبه.

4- حوانيت الوراقين

كانت حوانيت الوراقين أشبه اليوم بالمكتبات العامة التي يرتادها الناس طلبا للعلم والكتاب في آن واحد. ومع أن الأصل في افتتاح هذه الحوانيت كان تجاريا بحثا إلا أنها تحولت مع الزمن إلى مكان يتلقى فيه الناس العلوم والمعارف والفنون. وقد ظهرت هذه الدكاكين مع بداية الدولة العباسية وانتشرت في جميع العواصم والبلدان.

وكان أصحاب الحوانيت أشبه اليوم بأصحاب دور النشر اليوم حيث تميزوا بثقافة عالية وكان هدفهم الأساسي العمل على نشر العلم والمعرفة بين الناس. وقد استطاع عدد من هؤلاء الوراقين أن يسجل اسمه في عداد المفكرين العظماء مثل ابن النديم صاحب الفهرست وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان.

وعلى خلاف ما هو معهود اليوم كان الوراقون هم الذين ينسخون الكتب بأنفسهم وهذا منحهم ثقافة رفيعة المستوى وبالغة الأثر ويذكر أن كثيرا من النوايا والمفكرين كانوا يعملون في هذه المهنة ومنهم كما يذكر التاريخ الشاعر العربي المشهور المتنبي الذي كد في هذه المهنة لمرحلة كبيرة من الزمان وأن هذه المهنة وفرت له شروط الإبداع والنبوغ.

5- منازل العلماء

وإذا كانت في قصور الخلفاء مدارس لتعليم الصغار مداخل المجد فإن بيوت العلماء تحولت إلى أشبه بأكاديميات يسعى إليها الناس في ظلام الليل في وضوح النهار. وهذا يذكرنا ببيت النبي عليه الصلاة والسلام عندما كان مركزا لنشر الدعوة الإسلامية وتعليم المسلمين الأوائل أصول دينهم وفقه قرآنهم وذلك قبل نشأة المدارس. وهذا ينعش ذاكرتنا في العودة إلى دار الأرقم بن الأرقم التي كانت أول أكاديمية علمية وفقهية في تاريخ الإسلام.

وقد أخذ هذا التقليد مجده في العصر العباسي الذي شهد نبوغ الفلاسفة والمفكرين والعلماء. ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى الفيلسوف الإسلامي المشهور الشيخ الرئيس ابن سينا الذي جعل من منزله موئلا لراغبي العلم وطلابه ومريديه. وكذلك يشار إلى منزل أبي سليمان السجستاني الذي جعل من بيته منارة يهتدى بها لطلاب العلم والمعرفة في عصره. ثم لا يفوتنا أن نذكر منزل الفيلسوف الإمام أبو حامد الغزالي حيث كان محجة الطالبين للعلماء وغاية الراغبين للطلاب والمفكرين⁽¹⁾.

6- الصالونات الأدبية ومجالس المناظرة

يعود الفضل في توظيف هذا النوع من الصالونات للأمويين الذين اقتبسوها نتيجة احتكاكهم بالثقافات والحضارات الإنسانية المجاورة ولاسيما الحضارة الإغريقية العتيقة. وانتشرت هذه الصالونات في مختلف أصقاع الدولة وفي مختلف مراحلها التاريخية. وقد شاعت هذه الصالونات بدرجة كبيرة في العهد العباسي. والصالونات كما يدل اسمها لا تعقد إلا في قصور الملوك والأعيان والأغنياء والأثرياء وذلك لما تقتضيه من متطلبات مادية وثقافية. ففي الصالونات تجتمع النخب الثقافية والفكرية في المجتمع ولذا فهي تقتضي كما كان هو الحال أن تكون مبهجة واسعة رحبة وأن

1- التربية عبر التاريخ، عبد الله عبد الدايم، مرجع سابق، (ص) 148.

تفرش بأساس فاخر وأن تزين وتوشى وأن تزكى بالعطور والروائح الكريمة مثل البخور والصندل والعود. وبعبارة أخرى كانت هذه الصالونات من اختصاص الملوك والأعيان وعلية القوم. وكان تعقد هذه الصالونات وفق برنامج محدد في زمان معين ومكان محدد. وكانت تجري على تقاليد مختلفة بين صالون وآخر. ولم يكن يسمح بحضورها إلا لطبقة معينة من الناس الذين يتميزون بحضورهم الفكري والعلمي في المجتمع. وكان أصحاب هذه الصالونات وروادها يتقيدون بأصول محددة للحضور والانصراف ويلتزمون بأدابها. وغالبا ما عقدت هذه الصالونات في قصور الخلفاء والملوك للمناقشات والمباحثات والجدل والمناظرة التي عرفت على خير وجه في المرحلة العباسية الأولى.

كان معاوية أول من عقد لهذه الصالونات في قصره وكان يعتمد إشارة محددة تؤذن للحضور بالانصراف وكان يقول عبارة معروفة " ذهب الليل " فينصرف الحضور من حوله وينفض الاجتماع. وكان عبد الملك بن مروان إذا رمى المخصرة هجر الحاضرون مجلسه. وكان الواثق إذا مس عارضيه وتثأب قام من حضره وانصرف. وكان الخليفة في الصالونات الأميرية هو وحده الذي يفتتح النقاش في صالونه هذا.

وكانت أغلب الصالونات في العصر العباسي تعقد لمناقشة الأمور في الفلسفة والأدب والقضايا الفقهية. حيث كانت تعقد المناظرات بين الشعراء والأدباء والفقهاء والمتكلمين. ومن أشهر الصالونات التي عرفها التاريخ الإسلامي المجالس العلمية والأدبية التي كان يعقدها الخليفة المأمون. فكان قصره يغص بالأدباء والمفكرين والعلماء والشعراء والفقهاء والمتكلمين. وفي قصره عقدت المناظرات المشهورة بين أهل العلم والفكر والأدب. وقد شهدت صالونات المأمون المناظرات التاريخية بين المعتزلة والأشاعرة وبين الخوارج والصابئة والملحدية. وفي هذه المجالس تمت المناقشات التاريخية حول خلق القرآن وقضايا القضاء والقدر. وقد لعبت هذه المجالس وهذه المناظرات دورا كبيرا في تاريخ الأمة الإسلامية ثقافيا وفكريا وفقهيا وأدبيا.

أولا - المؤسسات التربوية بعد انتشار المدارس النظامية

بدأ التعليم في هذه المرحلة يأخذ طابعا رسميا توجهه الدولة وتشرف عليه وتضع له المناهج وتحدد له المضامين وترسم له الغايات وتخصص له الميزانيات. وكان هذا مؤشرا من مؤشرات التقدم التربوي الذي شهدته الدولة.

وتعود نشأة المدارس إلى القرن الرابع الهجري، ويقال أن أهل نيسابور هم أول من بنى المدارس وأسس لها وكان في طليعتها المدرسة البيهقية. وكان لكل مدرسة أوقاف يصرف منها على الأساتذة والطلاب. وكانت التربية الدينية هي المنهج الأساسي لهذه المدارس. وكانت كل مدرسة من هذه المدارس تسير على تعاليم مذهب من المذاهب الدينية الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل⁽¹⁾.

ومن أهم المدارس التي تم تأسيسها:

1- تاريخ التربية، محمد عبد الرزاق شفشق و منير عطا الله سليمان، مرجع سابق، (ص) 193.

1- المدرسة النظامية في بغداد

يعود الفضل إلى الوزير السلجوقي نظام الملك بإنشاء المدارس في بغداد وأصفهان والبصرة والموصل. وكانت مدرسة بغداد هي المدرسة الأولى التي قام بتأسيسها في عام 457 هـ واستغرق بناؤها عامين كاملين.

وقد عرفت هذه المدارس بمؤسسها الوزير نظام الملك فنسبت إليه وعرفت تاريخياً بـ "المدارس النظامية".

وقد سار على نهج نظام الملك من جاء بعده من السلاجقة واقتفى أثره في ذلك الشاهات والأتابك الذين قاموا على أنقاض السلاجقة. ثم جاء نور الدين الزنكي (569) هـ فبنى مدرسة في دمشق تعرف باسم المدرسة النورية وبنى عدداً كبيراً منها في دمشق وحلب وفي مصر وعرفت باسم المدارس النورية.

2- المدرسة المستنصرية في بغداد

تعد المدرسة المستنصرية من أكثر المدارس التي عرفها التاريخ الإسلامي تطوراً ودقة. وهي ترمز إلى سمو الحضارة العربية الإسلامية في هذه المرحلة من التاريخ. وما عرفت به هذه المدرسة يتجاوز حدود التصور بما وصلت إليه من دقة وتنظيم ومكانة.

وهي المدرسة التي بناها الخليفة المستنصر في بغداد في القرن الثالث عشر الميلادي. وقد شملت هذه المدرسة تدريس المذاهب الأربعة، وقد افرد لكل مذهب جناح من هذه المدرسة وعين أستاذاً لكل مذهب من هذه المذاهب وكان على الأستاذ أن يعلم 57 طالباً. وقد عين للأساتذة مراتب شهرية ومنح كل طالب ديناراً من الذهب شهرياً. وهذا يعني أن المدرسة كانت مجانية والدراسة فيها كانت بالنسبة للطلاب أشبه بالمنح الدراسية التي تعطى الجامعات لبعض الطلاب. وكانت هذه المدرسة تحتوي على مكتبة ضخمة مزودة بشتى الكتب في مختلف الميادين. وكانت المدرسة تحتوي على حمام ومستشفى يوجد فيه طبيب مقيم يعود الطلاب في كل يوم. وهذه المدرسة تدل على مدى التطور التربوي في ذلك العصر⁽¹⁾.

3- المدرسة الناصرية في القاهرة

وفي العهد الأيوبي قام السلطان العادل زين الدين الأيوبي بإنشاء المدرسة الناصرية وقد وصفها المقرئزي بأنها كانت من أجمل مباني القاهرة وأكثرها فخامة. وكانت هذه المدرسة تنهج أيضاً ما عرفناه من منهجية في المدارس السابقة. وقد استمر انتشار هذه المدارس تحت أسماء السلاطين الذين كانوا يشرفون على بنائها في مصر، فانتشرت المدارس الكاملة نسبة إلى السلطان الكامل، والمدارس العادلية نسبة إلى السلطان العادل، والمدارس القطبية نسبة إلى الأمير قطب الدين.

1- انظر لمزيد من التفاصيل انظر: تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب، ملكة أبيض، مرجع سابق، صص 49-

4- مؤسسات تربوية أخرى

الخانقاه: ويضاف إلى المدارس مؤسسات تربوية أخرى مثل الخانقاه وهي كلمة فارسية تعني البيت. والخانقاه هذه كانت تضم عددا من الغرف لمبيت الفقراء والصوفية وبيتا كبيرا للصلاة. وكانت هذه المؤسسات تعلم الفقه والدين والتصوف وغيرها من علوم الدين.

الرباط: وقد أطلق اسم الرباط على نوع من الثكنات العسكرية التي بنيت على الحدود الإسلامية للدولة حيث يقيم فيها المجاهدون والمرابطون. ومع الزمن أصبحت البيوت التي يسكنها المتقشفون والصوفية. والرباط هو الخانقاه إلا أن أهل العراق قلما استخدموا تسمية الخانقاه وفضلوا عليها الرباط. وكانت تعقد في المراتب حلقات تعليم الدين والفقه والقرآن وغير ذلك من العلوم الإسلامية.

الزواوية: وهي كالرباط والخانقاه إلا أنها كانت اصغر في الغالب. وقد أطلقت في الغالب على جانب من جوانب المساجد الكبرى حيث كانت تقام فيها حلقات التدريس والعلم.

البيمارستان: وهي كلمة فارسية تعني المستشفى. وترجم هذه الكلمة إلى العربية بـمكان المرضى. وقد تضمنت المستشفيات هذه أماكن لتعليم الطب ومهاراته الأساسية كما أنها كانت تعلم الصيدلة وعلوم الأدوية والعقاقير. وكان البيمارستانات مكان التطبيقات العملية لعلوم الطب والصيدلة والعقاقير. وحاله اليوم أشبه بحالة المستشفيات الجامعية التي توجد على مقربة من الجامعة لتعليم طلاب الطب الممارسة المهنية العملية للعلوم التي يتلقونها في الطب⁽¹⁾.

إنجازات الحضارة العربية الإسلامية

شهدت الحضارة الإنسانية شموخها الفكري وعظمتها الإنسانية في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية. وقد تركت الحضارة العربية الإسلامية للإنسانية أيضا يتدفق من العطاءات الفكرية الخالدة التي ما زالت في أصل الحضارة الإنسانية المعاصرة. فأعظم الاكتشافات الإنسانية في العلوم والفنون والجغرافية قد شهدت تدفقها في الحضارة الإسلامية. وقد نالت الحضارة العربية الإسلامية إعجاب الأمم وتقديرهم فنهلوا من ينابيعها وأخذوا من عطائها وغرفوا من فنونها ورشفوا من مناهلها ومن معين أصالتها. ويمكن أن نستعرض بإيجاز شديد ومضة مما قدمه العرب للتاريخ والإنسانية والحضارة.

ففي المجال العلمي قام العرب بترجمة كتب الفلك الهندية إلى اللغة العربية، وبها انتقلت الأرقام التي عرفت بالأرقام العربية من الهندية وانتشرت في بلاد الإسلام. وقد أقبل المسلمون على دراسة الرياضيات وبها ارتقوا في علم الفلك واشتهر منهم محمد بن موسى الخوارزمي، وكان أكبر رياضي وفلكي في عصره. واشتهر من بعده علماء كثيرون منهم أبو علي الخياط، ويحيى بن المنجم، وسند بن علي، وأبو معشر الفلكي والبتاني والفرغاني وأبو الوفا البوزجاني وابن رضوان والزرقالي. وقد أقام الخلفاء والسلاطين كثيرا من المراصد لرصد حركات الكواكب والنجوم والتنبؤ بالخسوف والكسوف.

ويلحق بالرياضيات الهندسة والفيزياء والميكانيك ويعرف بعلم الحيل، فقد باشر العرب هذه العلوم مع الرياضيات واشتهر من المهندسين في العصر الإسلامي الثاني موسى بن شاكر وأبناؤه من بعده، واشتهر فيها أبو بكر الرازي والكندي، وابن الهيثم والبيروني.

1- أنظر: التربية عبر التاريخ، عبد الله عبد الدايم، مرجع سابق، صص 160-164.

هذا عرض وجيز لنشاط العرب والمسلمين في مجال علوم الأوائل، وقد نشطوا في مجالات أخرى كالتاريخ والجغرافية. ففي التاريخ اشتهر منهم محمد بن إسحاق والواقدي وعبد الملك بن هشام وعبد الله بن الحكم ومحمد بن سعد الزهري وخليفة بن خياط ومحمد بن حبيب والبلاذري والدينوري واليعقوبي (والطبري وابن عبد البر).

واشتهر في الجغرافية الكندي وابن الفقيه والبلخي وقدامة بن جعفر والإصطخري وابن حوقل، والسيرافي والشابشتي والبيروني والبكري، وغيرهم وكان هؤلاء الرحالة الذين جابوا البلاد طلبا للعلم أو الاتجار، ووصفوا حياتها الاجتماعية والاقتصادية ومعالمها الطبيعية.

وقد كان العلم لا يقتصر على جانب واحد من المعرفة بل كان العالم بفتح الهمزة يجمع بين فنه علوما أخرى، فهناك الطبيب العالم بالهندسة والفلك، وهناك الفيلسوف العالم بالطب والكيمياء بل هناك الفقيه العالم بالطب والفلسفة، وهناك الأديب والشاعر العليم بالهندسة والميكانيك، وهناك من يلم بجملة من هذه العلوم أو ببعضها.

وقد انتشر هؤلاء العلماء في بلاد الإسلام على مختلف دولها وكانوا موضع رعاية الخلفاء والأمراء والسلاطين، وكانت العواصم في المشرق والمغرب تتجاذبهم وتبني لهم المدارس والمعاهد، وقد حفلت بهم بغداد ودمشق وحلب والقاهرة والقيروان وفاس وقرطبة وإشبيلية وطليطلة، وكانوا أعلام المعرفة وسفراءها في العصر الوسيط، تلك المعرفة التي أخدمت شعلتها ضلالات السياسة ومفاسد الحكم، فانبعث نورها في الغرب يستضيء بشعلتها ويقوم بها بناء الحضارة الحديثة.

وفي مجال الفلسفة برز الفيلسوف العربي المشهور ابن رشد الذي قام بشرح أرسطو ولعب دورا كبيرا في النهضة الغربية. ويشار إلى الفلاسفة العرب مثل ابن حزم، وابن سينا، والكندي والفارابي وغيرهم كثير. وهؤلاء يشكلون حلقة مضيئة في مجال الفلسفة والعلوم العقلية في تاريخ الإنسانية. كما يشار بالبنان إلى ابن خلدون في مجال التاريخ وعلم العمران.

خاتمة في التربية الإسلامية

يقدم الإسلام للإنسانية منهجا تربويا أصيلا يتميز بطابع القدسية والشمول. وتأتي قدسية هذا المنهج بوصفه غيظ من فيض القرآن الكريم ولمحة عبقرية في سنة نبيه الكريم. هذا المنهج القرآني النبوي للتربية يجلب ويسمو على كل مقارنة وضعية. ومع ذلك نقول أن هذا المنهج التربوي يشتمل في ذاته على مختلف المضامين التربوية التي نجدها في تتابع وتعاقب المنظرين والمفكرين على مدى التاريخ. ففي سنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وفي تعاليمه التربوي ما يشكل أعظم نظرية تربوية في تاريخ الأمم والشعوب.

لقد كان في عطف النبي على الأطفال ومحبه لهم أعظم رسالة تربوية في تاريخ الفكر التربوي. ولن نجد التاريخ الإنساني ما بين البشر من يضاهاه النبي العظيم في حبه للأطفال ومداعبتهم واحترامهم واللعب معهم. وهنا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان رجل دعوة ورجل جهاد ونضال وزعيم أمة وممنهج رسالة، ومشيدا لحضارة إنسانية ندر مثلها في الدنيا. وهو مع عظمة هذه المسؤوليات وخطورة المهمات السماوية التي تحمل مسؤوليتها بإرادة إلهية استطاع صلى الله عليه وسلم أن يعطي الأطفال، وهم زنايق الحياة والوجود، مساحة من زمنه القدسي يداعبهم فيها ويحنو عليهم ويأخذ بيدهم.

ولم يكن سلوك النبي التربوي صلوات الله عليه وسلم مجرد عطف يغدقه ومحبة يغمر بها الأطفال بل كان في ذلك يعلم البشر وينهج بهم إلى غاية عظيمة تتمثل في تكوين أجيال من البشر تقدر على حمل الرسالة ونشر الحضارة وبناء منظومة القيم في أنحاء الدنيا.

نعم كان النبي صلى الله عليه وسلم معلما ومربيا تفتقت عبقريته النبوية عن أنبل العطاءات في ميدان التربية والتعليم. وما زال منهجه اليوم وسيبقى دستوراً خالداً للتربية وموجهاً لأمة المسلمين في تربية أجيالهم والارتقاء بهم إلى أقصى درجات الكمال.

وإننا إذ كنا لا نجد في القرآن والسنة نظرية تربوية واضحة المعالم محددة السمات واضحة القسمات فإن تعاليم النبي والإشارات القرآنية وسنة رسول الله تشكل منهاجاً تربوياً متكاملًا ونظرية عصماء تحمل بذور أبداع وعبقرية إنسانية بالإضافة إلى كونها فيض من رحمة ربانية أنزلها الله على البشر. وهذا ما عهدناه وشاهدناه عند الدارسين والباحثين الذي يفقون وقفات دهشة وذهول أمام المعاني التربوية السامية في القرآن الكريم. ويجتهد اليوم كثير من الباحثين في استنباط المعاني وفي الكشف عن الإشارات التربوية في القرآن الكريم وفي سيرة سيد الأنبياء محمد عليه صلوات الله وسلامه.

وباختصار يمكن القول بأن التربية الإسلامية في مجال الطفولة تؤكد على المبادئ التالية وهي:

1- **فطرة الطفل خيرة وأصيلة** ولا يوجد نزع شر في النفس الإنسانية وأن الإنسان يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه. وفي هذا سبق كبير على المذهب الطبيعي في التربية. لأن طبيعة الإنسان خيرة ونبيلة ومفطورة على حب الله والبحث عن دلائل وجوده والكشف عن معاني عظمته وآيات خلقه في الطبيعة والكون.

2- **التربية الإسلامية في مصادرها القرآنية والنبوية** تؤكد على أن الفعل التربوي لا يكون في تكثيف المعاني وتحميل النفس بغزارة الصور، بل يرى ويؤكد بأن الفعل التربوي هي عملية أيقاظ للفطرة الإنسانية وتوجيهها نهو غايتها في الكشف عن الله وعبادته وتوحيده.

3- **العطف على الطفولة** ومحبة الأطفال واحترامهم نهج أصيل في التربية الإسلامية. ولن يعرف التاريخ الإنساني مربيا نال حظوة النبي في عطفه على الأطفال ومحبتهم والعناية بهم.

4- **تعلی التربية الإسلامية** من شأن العقل والعقلاء وترفع من قدر الحكمة والحكماء، حتى أن النبي الكريم كان يرى في العلماء ورثة للأنبياء وإنما يخشى الله من عباده العلماء. النص القرآني يعطي من شأن الحكمة والعقل ويمجده وعلى هذا التوجه ينادي الإسلام بإذكاء العقل وتمجيده في الأطفال والناشئة على حد سواء.

5- **تؤكد التربية الإسلامية** على أهمية الجوانب الأخلاقية في التربية وهي تنهض على أساس من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو مجد القيم والأخلاق. ومن هنا فإن النصوص الإسلامية تركز على الجانب الأخلاقي وترفع من شأن التخلق عند الأطفال على قيم الخير والمحبة والعطاء.

6- تركز التربية الإسلامية على **الجوانب الإيمانية** وتؤصل لقيم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وقضائه وقدره عن طريق العبادات وعن طريق الصلوات. وهي تهيب بالمربين العمل على بناء الطفل بناء أخلاقيا إسلاميا متوجا بكل معاني الصدق والشجاعة والحكمة والبصيرة.

7- **تعتمد التربية الإسلامية** في مستوى الأطفال على منهجية القدوة الحسنة وعلى المبدأ القصصي الشيق كما هو الحال في مبدأ الحوار القرآني، كما تعتمد طريقة العبرة والموعظة الحسنة وأسلوب التهذيب بطريقة الترغيب والترهيب.

وفي النهاية نقول إن التربية العربية المعاصرة يجب أن تستلهم روح هذه التربية ومنهجها في إعداد الأطفال والأجيال. وأن الإصلاح التربوي الحقيقي يجب أن ينطلق من هذه المبادئ وهي مبادئ لا تفوقها أية مبادئ تربوية محدثة. فالتربية التي أسس لها المصطفى عليه صلوات الله تربية تفوق في معانيها وجوهرها التربية الحديثة التي نجدها في الفكر التربوي الحديث. لقد كان للفكر الإسلامي قصب السبق في التأكيد على الخير في طبيعة الأطفال وعلى مبدأ الحرية ومبدأ القدوة ومبدأ اللعب ومبدأ الفطرة وهي المبادئ التي نجدها في الفكر التربوي الحديث.

إن السير على نهج النبوة في تربية الأطفال لا يضعنا خارج السياق التاريخي للفكر التربوي المعاصر بل يدخلنا في أعماقه وفي جوهره، ويجعل من التربية التي ننهجها تربية مشروعة للخروج من دائرة الوهم والظلام.

إن حدثتنا التربية ونقلتنا الحضارية مرهونة اليوم و أكثر من أي وقت مضى في تأصيل المنهج الإسلامي التربوي ومبادئه الخلاقية. وما زالت التربية الإسلامية اليوم تدهش أهل الغرب ومفكرهم، فهي تقدم نماذج إنسانية يحار العقل في فهمها وتحليلها. ويكفينا اليوم أن نعرف بأن هذه التربية وهذه العقيدة هي التي تعد بولادة أجيال تصنع التاريخ كما يفعل اليوم أبطال المسلمين في تقديم أنفسهم على مذابح الحرية من منطلق الإيمان بالشهادة واليوم الآخر وانتصاراً لمبدأ العزة والكرامة الإنسانية.

وكما هو الحال في مختلف العلوم والفنون ترك العرب المسلمون تراثاً فكرياً تربوياً يتميز بالأصالة والعمق والعبقرية. وقد شهد الحياة الفكرية التربوي ميلاد عبقریات خالدة ما زالت تومض بنورها وتشع بعطائها الفكري. وليس من اليسير على العارف أن يأتي على أسماء الأعلام التربويين الذين توجوا الحضارة العربية الإسلامية بعبق عطائهم الفكري في مجال النظرية التربوية. وما يمكن أن نقوله في هذا الصدد أن الفكر التربوي الذي قدمته الحضارة العربية الإسلامية يتميز بطابعه الفلسفي وتكويناته الشمولية ويمتاز بدرجة عالية من التنظيم والقدرة على مواكبة الحركة الحضارية التي شهدتها المجتمعات الإسلامية في العصر الذهبي. وهي تشكل اليوم درة في تاج الفكر التربوي العالمي المعاصر.

ثبت المراجع والمصادر:

- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1980، ج1، (ص) 180.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ج2، مطبعة عثمان خليفة، القاهرة، 1933.
- أصول التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، القاهرة 1993.
- تاريخ التربية في الشرق والغرب، محمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة، 1985.
- تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب، ملكة أبيض، مطبعة الإنشاء، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1982.
- تاريخ التربية، محمود عبد الرزاق شفشق، منير عطا الله سليمان، دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية، دار القلم، القاهرة، 1968.
- التربية الإسلامية، أحمد شلبي، نظمها وفلسفتها، وتاريخها، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978.
- تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ط6، ج2، 1983.
- التربية عبر التاريخ، عبد الله عبد الدايم، دار العلم للملايين، بيروت، 1984
- التربية قبل المدرسية، علي وطفة و خالد الرميضي، مكتبة الطالب، الكويت، 2004.
- تطور الفكر التربوي الإسلامي، فيصل الراوي رفاعي وآخرون، مكتبة الفلاح، الكويت، 2000.
- الخنساء شاعرة الرثاء، يحي شامي، دار الفكر العربي، بيروت، 1999.
- دراسة مقارنة لتاريخ التربية، عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.
- زاد المعاد من هدى خير العباد، ابن قيم الجوزية، ج4، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، الجزء الأول، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1933.
- الطفولة في الإسلام، أحمد ربيع، المؤتمر الدولي للطفولة في الإسلام، القاهرة 9-12 أكتوبر 1990.
- الطفولة في الإسلام، أحمد عمر هاشم، المؤتمر الدولي للطفولة في الإسلام" القاهرة 9-12 أكتوبر 1990.
- القرآن الكريم.
- قطوف من أدب النبوة، أحمد حسن الباقوري، ج1، مؤسسة الأخبار، نوفمبر 1988.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، العجلوني، ج2، القاهرة: مكتبة القدسي، 1351هـ،
- مدخل إلى تطور الفكر التربوي، سامي محمد نصار، وجمان عبد المنعم أحمد، ذات السلاسل، الكويت، 2000،
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، (1422هـ 2001م). موقع WWW.Almohadiddith.com
- مقدمة في تاريخ التربية، عبد المحسن حمادة، جامعة الكويت، ط2، الكويت 1995
- منهج التربية الإسلامية، حمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1980، ج1،

– نيل الأوطار، محمد بن على الشوكاني، ج4، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية

**التراث التربوي للحضارة العربية الإسلامية في العصر الوسيط:
التربية الإسلامية منذ عصر النبوة حتى نهاية العصر العباسي.**

يتناول هذا المبحث معالم التربية الإسلامية واتجاهاتها منذ صدر الإسلام حتى العصر العباسي الثاني حيث بدأت شمس الحضارة العربية الإسلامية تأفل وتغيب . وفي البداية يقدم البحث وصفا موضوعيا لتربية النبوة وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أسس لأعظم تحول تربوي في تاريخ الإسلام والمسلمين فاستطاع عبر مدرسته النبوية أن يمنح العالم أعظم الرجال والأبطال وأفضل العلماء والمخلصين والتابعين الذين رفعوا راية الحضارة والإسلام . ثم يتناول البحث تطور المدارس الإسلامية وتطور المعرفة العلمية والتربية في العصرين الأموي والعباسي وذلك في خضم السياق التاريخي الذي مرت به الدولة العربية الإسلامية.

لقد لعبت التربية الإسلامية دورها التاريخي في نهضة العرب وبناء الحضارة العربية الإسلامية . ولكن هذه الحضارة العربية بدأت تتصدع في نهاية الأمر تحت مطارق الصراعات الداخلية والسياسية التي أثرت تأثيرا سلبيا على النظام التربوي بوصفه أحد الأنظمة الأساسية في التكوين الحضاري العربي .

تقدم هذه الدراسة منهاجا أصيلا لدراسة التراث التربوي للحضارة العربية الإسلامية في دائرة العلاقات النبوية بين الثقافة والتربية والقيم الدينية والحضارة وتبين في نهاية الأمر تأثير القيم الإسلامية العليا في التكوين الحضاري وتهيب بالباحثين العرب والمربين العمل على استلهام هذه القيم الحضارية التربوية في عملية البناء الحضاري المعاصر للمشاركة الفعالة في حركة العصر وتاريخه .

د. علي أسعد وطفة